الأضداد في اللغة

الأستاذ حسنين محمد (القاهرة)

ونحن ننشر في هذا العدد من مجلتنا القسم الاول من البحث «حول الاختلاف في مفهوم الاضداد» مرجئين الى العدد المقبل بحول الله القسم الثاني حول «جمع الاضداد وتدوينها» :

لا يماري انسان اتصل بالعرب او ادبهم او ثقافتهم ادنى اتصال انهم يرتبطون بلغتهم ارتباطا قل ان نرى مثيلا له في الامم الاخرى ، وان هذا الارتباط جعلهم يلتزمون بها ، ويشعرون بكل تغيير — مهما كانت تفاهته — يجري عليها ، ويحاولون المحافظة عليها ما وسعتهم المحاولة ..

وكانت الثمرة على النحو واللغة . فقد اخذ العرب يتحدثون في شيء من مسائلهما منذ وقت مبكر ، لسنا على يقين منه ، بل ربما رجع الى ما قبل الاسلام ، كما تنبيء بعض اخبارهم . ولست اريد ان اضرب في وادي الاوهام ، او اركن الى الظنون . فما اتحدث عنه في هذا الكتاب غني عن ذلك ..

فلا جدال ان علماء بالعربية اخذوا يظهرون في المجتمع، ويحملون هذه الصفة ، في القرن الثاني ، بل ربما لا اغالي اذا قلت اواخر القرن الاول . ولم يزد جهد الاولين من هؤلاء «العلماء بالعربية» على مدارسة تلاميذهم ، ومناقشتهم . ثم جاء خلف لم يرضوا بهذا الجهد وحده ، وطمحوا الى «التدوين» : تدوين ما قال شيوخهم ، وما وصل اليه جهدهم الخاص ..

وكانت الثمرة — في المجال اللغوي الخاص — رسائل تحاول ان تجمع الفاظا لغوية ذات طابع خاص، ولا يهم ان يكون ذلك الطابع من معناها ، كأن تكون هذه الالفاظ جميعا تتحدث من الابل وما تعلق بها ، فتعطينا الرسائل اللغوية على الموضوعات . او يكون ذلك الطابع من المصدر الذي وردت فيه ولفت الانظار ، كأن تكون في القرءان او الحديث ، فتعطينا رسائل غريب القرءان ، وغريب الحديث . او يكون ذلك الطابع من ظاهرة لغوية تغلب عليها كأن تكون هذه الالفاظ مهموزة ..

ومن الضرب الاخير « الفاظ الاضداد » . فقد كان الذي لفت الانظار اليها ما تتحلى به من ميزة خاصة ، اذ ترد بصورة واحدة ، ولكنها تدل على معان يتقابل منها اثنان تقابلا تاما ..

ولم يكن تدوين الاضداد فيما نعرف من الرسائل اللغوية الاولى ، ولكنه تأخر عنها قليلا . وفي القرن الثاني تنبه اللغويون اليها ، فشرعوا يلتقطونها ، ويشيرون اليها ، ويتحدثون عنها .

وكانت الثمرة الطبيعة اول تدوين للاضداد في اللغة العربية . وكانت هذه الثمرة الاولى باكورة عدة ثمار : جمعت الاضداد او درستها . وحول هذا الثمار ندور في الصفحات الآتية : متأملين، ومتذوقين، ومقدرين ..

ودعائي الى الله ان يمنحني القصد فلا أجور ، والقدرة فلا أعجز ..

تعريف الاضداد

[illegible] ان من اقدم الامور التى تطلع اليها علماء اللغة العربية الاولون التفرقة بين الانواع التى يمكن ان تنقسم اليها الكلمة . فالقدماء يكادون يجمعون ان علي بن ابي طالب اول من تحدث فى قضايا نحوية ، ويذهب بعضهم انه اكتشف ان «الكلام كله اسم وفعل وحرف ..» (1) .

ولست فى صدد دعم هذا الكلام او دحضه ، انما يهمني ان القدماء كان فى خلدهم ان تقسيم الكلام العربي كان اول قضية نحوية . واذن فغير غريب ان يكون من اقدم القضايا اللغوية تقسيمات اخرى تكميلية ..

.اقدم ما يعنيني من هذه التقسيمات ما أورده سيبويه فى صدر كتابه ، دون ان يبين انقله عن احد شيوخه أم كان من ابتكاره . والتقسيم الذي اورده ثلاثي ايضا يمكن ان اضعه على النحو التالي . قال (2) :

[illegible] ان من كلامهم :

أ ـ اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ... نحو جلس وذهب .

ب ـ واختلاف اللفظين والمعنى واحد ... نحو ذهب وانطلق .

ج ـ واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ... نحو : وجدت عليه : من الموجدة ، ووجدت : اذا اردت وجدان الضالة ..».

[illegible] بالنوع الثاني ما سماه اللغويون [illegible] والنوع الثالث ما سموه المشترك ..

[illegible] ما دونه سيبويه « كتاب » النحاة [illegible] رجعوا اليه وافادوا منه : وكان [illegible] كان طبيعيا ان نجد هذا التقسيم [illegible] (3) . وكان طبيعيا بل اوغل فى [illegible] هذا القول ـ ان نجد هذا التقسيم [illegible] فى صدر كتابه الذى الفه فى الاضداد ، ولم يزد عليه غير شيء من البسط والشرح والتمثيل والتفريع . قال ابو علي قطرب : « الكلام فى الفاظه بلغة العرب على ثلاثة اوجه :

1 ـ فوجه منها ـ وهو الاعم الاكثر ـ اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، وذلك للحاجة منهم الى ذلك . وذلك قولك : الرجل ، والمراة ، واليوم ، والليلة ، وقام ، وقعد ، وجاء ، وذهب . اختلف اللفظان لاختلاف المعنيين . وهذا لا سبيل الى جمعه وحصره ، لان اكثر الكلام عليه ». وقد نشعر من هذه العبارة الاخيرة ان قطربا لم يسمع بمحاولة الخليل بن احمد الفراهيدي جمع اللغة فى كتاب العين ، والحق ان القدماء يقولون ان كتاب العين لم يرد الى البصرة من خراسان الا فى زمن متاخر من وفاة قطرب ..

2 ـ والوجه الثاني اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد . وذلك مثل عير وحمار ، وذئب وسيد، وسمسم وثعلب ، واتى وجاء ، وجلس وقعد . اللفظان مختلفان والمعنى واحد .. وكانهم انما ارادوا باختلاف اللفظين ، وان كان واحد مجزئا ، ان يوسعوا فى كلامهم والفاظهم ، كما زاحفوا فى اشعارهم ليتوسعوا فى ابنيتها ، ولا يلزموا امرا واحدا ..

3 ـ والوجه الثالث ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا . وذلك مثل الامة يريد الدين ، وقول الله : « ان ابراهيم كان امة قانتا لله » منه .. والامة : القامة ، قامة الرجل . والامة من الامم .

ومن هذا اللفظ الواحد الذى يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا فى الشيء وضده » . وعلى هذه الصورة وصل قطرب الى غرضه ، اذ ابان ان هذا المشترك من الكلمات ـ الذى ذكره سيبويه ـ نستطيع ان نجد تحته فئتين من الكلمات : فئة تختلف معانيها مثل الامة ، واخرى يزداد التخالف الى ان تتضاد ، وهي « الاضداد » التى الف من اجلها الكتاب ..

[illegible] زهره الالباء 2 .

[illegible] لاحمد بن فارس 96 ، 201 ، والمزهر للسيوطي 1 : 388 ـ 9 .

وانتقل هذا التقسيم من كتاب قطرب الى كتاب ءاخر فى الاضداد ، هو الذى الفه ابو بكر بن الانباري (4) . فقد اورده هذا برمته فى مقدمته ، واضاف اليه بعض التوضيح والاعتراض . فقد روى ان ابن الاعرابي اعترض على المترادفات ، وانكرها ، واعلن ان كل كلمة منها لها معنى ليس فى اختها ، احيانا نعرفه واحيانا لا نعرفه . وارتضى ابن الانباري راي ابن الاعرابي ودعمه بالحجج التى تؤيده . وصرح ابن الانباري ان الوجهين الاولين من الكلام ، اكثر كلامهم » ، اما الاضداد فاتفق هو وقطرب على قلتها ..

واذا نظرنا الى حديث قطرب السابق عن الاضداد وجدناه موجزا ومبهما ، لا يعطينا تعريفا شاملا دقيقا لها . وقد حافظت الكتب بعد قطرب على هذا الابهام . فاكتفى ابو حاتم السجستاني بأن قال فى مقدمة كتابه : « ضد الشيء : خلافه وغيره » . وقال ان الانباري فى وصف كتابه (5) : « هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤيدا عن معنيين مختلفين » .

وكان ابو الطيب اللغوي هو الذى ازال كل ابهام عن اللفظ ، حين عرفه فى صدر كتابه فقال (6) : « الاضداد جمع ضد . وضد كل شيء ما نافاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل .. وليس كل ما خالف الشيء ضدا له . الا ترى ان القوة والجهل مختلفان ، وليسا ضدين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف اعم من التضاد ، اذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين » .

الاختلاف فى وجود الاضداد

وقد اختلف موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الالفاظ . فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث عما يندرج تحتها من الفاظ ، وعللها احيانا . وكانت هذه الجماعة اسبق فى الظهور من معارضتها ، اذ كان منها ابو عمرو بن العلاء والخليل ابن احمد ويونس بن حبيب وتلاميذهم . واستمر المنتسبون اليها فى البقاء الى يومنا هذا . اما الجماعة الاخرى فاعترضت على الاضداد ، وانكرتها . ولا نعرف من انتمى اليها من القدماء غير عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه (7) . وكثر اتباعها فى العصر الحديث . فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة « ضدان » فى دائرة المعارف الاسلامية (مادة اضداد) وكان منهم اغلب المستشرقين ، الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة فى رفض الاضداد ..

وبسبب هذا الاختلاف ، اضطر مؤيدو الاضداد الى الدفاع عن وجودها ، والرد على ما قاله المعارضون . ولعل اهم من قام بهذا العمل احمد بن فارس ، وابن سيده ، ومحمد ابن القاسم الانباري. اما الاولان فقد وجدت عندهما الدفاع . واقامه ابن سيده على الجدل العقلي ، فقال لشيخ منكر للاضداد (8) : « هل يجوز عندك ان تجيء لفظتان فى

---

(4) 6 – 8 .
(5) 1 .
(6) 1 .
(7) ذكر الجواليقي فى شرح ادب الكاتب ان ثعلبا انكر الاضداد ، وقال : « ليس فى كلام العرب ضد .. لانه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا، لانه لا يكون الابيض اسود ولا الاسود ابيض . وكلام العرب – وان اختلف اللفظ – فالمعنى يرجع الى اصل واحد » (ادب الكاتب 177)
والغريب ان تلميذه ابن الانباري لم يذكر ذلك ، بل اكثر من الرواية فى كتابه عنه الى درجة تجعل المرء يوقن ان ثعلبا من القائلين بالاضداد . وروى عنه ما يدل على ان ثعلبا اعلن ان اللفظ قد يفيد مقابل معناه ، لعلة من العلل . قال : « قال ابو العباس (ثعلب) : انما جاز ان يقع الظن على الشك واليقين ، لانه قول بالقلب . فاذا صحت دلائل الحق ، وقامت اماراته كان يقينا . واذا قامت دلائل الشك ، وبطلت دلائل اليقين ، كان كذبا . واذا اعتدلت دلائل اليقين والشك كان على بابه شكا ، لا يقينا ولا كذبا » (الاضداد 16) .
(8) المخصص 13 : 259 .

اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين ! (يشير الى المشترك) فلا يخلو في ذلك ان يجوزه او يمنعه . فان منعه ورده ، صار الى رد ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع ما ثبت جوازه ، وشبهت عليه الالفاظ ، فانها اكثر من تحصى وتحصر ، نحو « وجدت » الذى يراد به العلم ، والوجدان ، والغضب ، و «جلست» الذى هو خلاف قمت ، و «جلست» الذى هو بمعنى اتيت نجدا (وتسمى جلس) . فاذا لم يكن سبيل الى المنع من هذا ، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه . واذا جاز وقوع اللفظة للشيء وخلافه ، جاز وقوعها للشيء وضده ، اذا لضد ضرب من الخلاف ، وان لم يكن كل خلاف ضدا » ..

ولم يلجأ ابن فارس الى المنطق، والجدل العقلي، فى دفاعه عن الاضداد . وانما اعتمد فى احد رأييه على طبيعة اللغة العربية . فقال (9) : « ومن سنن العرب فى الاسماء ان يسموا المتضادين باسم واحد، نحو الجون للاسود ، والجون للابيض » . فالاضداد عنده واحدة من ظواهر اللغة العربية مثل الترادف . واعتمد فى رأيه الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الاضداد وموقفنا منهم . فقال يصف رأي المعارضين (10) : هذا ليس بشيء ، وذلك ان الذين رووا ان العرب تسمي السيف «مهندا» والفرس «طرفا» هم الذين رووا ان العرب تسمي المتضادين باسم واحد » فابن فارس يوجب ان نوحد موقفنا من هؤلاء الرواة . فان شككنا فيما رووا من الاضداد وجب علينا ان نشك فى بقية رواياتهم اللغوية ، وذلك أمر مستحيل . فان وثقنا بما رووا من غير الاضداد، كان واجبا ان نثق بما أوردوه منها . والحق ان ابن فارس كان اكثر توفيقا فى دفاعه عن الاضداد ، واقرب الى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج . ويؤسفنا الا نعثر على كتابه الذى الفه فى الدفاع عن الاضداد ، ووصف موقفه من مذهب المعارضين ، فى قوله (11): « وقد جردنا فى هذا كتابا ، ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا رد ذلك ونقضه » .

واما ابن الانباري فقد تناول واحدا من اهم اراء المنكرين للاضداد ورد عليه . بل لعله اهم راي لهم ، اذ صدر عن راسهم ابن درستويه ، واستغلته جماعات متنوعة .

ولما كانت كتب المعارضين القدماء لم تصل الينا، كنا مضطرين الى الاعتماد على حكايات غيرهم عنهم ، وما تساقط الينا من اقوالهم ، فى تصور ارائهم . وتؤكد لنا هذه الحكايات ان المعارضين رفضوا الاضداد جملة ، وانكروا وجودها فى اللغة . قال احمد ابن فارس (12) : « وانكر ناس هذا المذهب وان العرب تاتي باسم واحد لشيء وضده » . وقال السيوطي مصورا لموقف ابن درستويه ، الذى يعد راس المعارضين القدماء (13) : « قال ابن درستويه فى شرح الفصيح : النوء : الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل للكوكب : قد ناء : اذا طلع . وزعم قوم من اللغويين ان النوء السقوط ايضا ، وانه من الاضداد. وقد اوضحنا الحجة عليهم فى ذلك فى كتابنا فى ابطال الاضداد ! فاستغدنا من هذا ان ابن درستويه ممن ذهب الى انكار الاضداد، وان له فى ذلك تاليفا ».

وعندما نتتبع الاقوال التى اتى بها المنكرون لدعم رايهم لا نجد فيما بين يدينا من مراجع غير اقوال قليلة لا تدل على حقيقة موقفهم دلالة كافية . واهمها الراي الذى رد عليه ابن الانباري ، وجاء ابن درستويه فى شرح الفصيح حين قال (14) : « انما اللغة موضوعة للابانة عن المعاني . فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، او احدهما ضد للاخر لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية ..» .

وتثقف هذا القول من ابن درستويه فئتان من الناس . ابدا بالفئة المتاخرة فى الوجود ، اذ عاشت بيننا فى العصر الحديث ، وتقبلت القول فى نية حسنة ، ودافعت عنه فيمواجهة بعض ما وجه اليه

---

(9) الصاحبي 97 .
(10) الصاحبي 98 .
(11) الصاحبي 98 .
(12) الصاحبي 98 . المزهر 1 : 387 .
(13) المزهر 1 : 396 .
(14) المزهر 1 : 385 . اصداد ابن الدهان 5 .

من نقد على العصور . قال عبد الفتاح بدوي (15) : « ينبغي الا يعزب عنا ان التضاد مناف لطبيعة اللغة، وانه لا يسهل التفاهم بين الناس . فمن الصعب ان نقبل ان المعاني الاولية المتضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة التي تنشأ من التضاد اكبر جدا من التي تنشأ من الاشتراك . واذا قيل : ان القرائن توضح المراد كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لان الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداجتها . وانما هو طور آخر فوق ذلك » ..

اما الفئة الاولى في الوجود فكانت مريبة . ولم تقبل القول الا لتستند اليه في الطعن على العرب ، اذ سلمت بصحة القول وصحة وجود الاضداد في مان واحد ، واقامت عليهما من الاحكام ما يتسق مع مآربها الحاقدة . قال ابن الانباري (16) : ويظن اهل البدع والزيغ والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلافتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم . فيسالون عن ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبيء عن المعنى الذي تحته ودال عليه ، وموضع تاويله . فاذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب ايهما اراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى »

وكان رد ابن الانباري على هذه الفئة الشعوبية بقوله (17) : « احدهن ان كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط اوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه . فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لانها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية احد المعنيين دون الاخر ولا يراد بها في حال التكلم والاخبار الا معنى واحد .. ومجرى حروف الاضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة وان لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها الا بما يتقدم الحرف ويتاخر بعده مما يوضح تاويله .»

وتساقط الينا من اقوال منكري الاضداد ما يكشف عن ادلة اخرى لهم . ولكن هذه الاقوال لا تحاول ان تهدف القاعدة التي قامت عليها الاضداد كما استهدف قول ابن درستويه السالف ، بل تسير في اتجاه مخالف بعض المخالفة ، يجعلنا نستطيع ان نعتمد عليها ونستفيد منها في موضع ماخر . ولذلك نرجيء عرضها والحديث عنها الى ذلك الموضع ، ونقفز الى المحدثين من الشرقيين والمستشرقين .

فيبرز امامنا عبد الفتاح بدوي اكثر الرافضين للاضداد تطرفا وتوسعا في رايه ، اذ انكرها انكارا باتا ، واعلن : « واننا لنتحدى الذين يزعمون ان في اللغة اضدادا ونباهلهم، بجميع كلمات اللغة العربية، ان ياتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد. فان لم يفعلوا ولن يفعلوا ــ فليس في اللغة تضاد » . وقد اتخذ عبد الفتاح بدوي من قول ابن درستويه اساسا ثم اقام عليه علته في هذا النفي المطلق للاضداد . قال : « ينبغي الا يعزب عنا ان التضاد مناف لطبيعة اللغة ، وانه لا يسهل التفاهم بين الناس . فمن الصعب ان نقبل ان المعاني الاولية المضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة التي تنشأ من التضاد اكبر جدا من التي تنشأ من الاشتراك » . ورد على ابن الانباري قائلا : « واذا قيل : ان القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليما حقا بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لان الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداجتها ، وانما هو طور ماخر فوق » . ثم قسم عبد الفتاح بدوي الاضداد الى طوائف ، واتبع كل واحدة بما يبطلها في نظره. واعان ان امثالها موجود في اللغات المختلفة ، واتى بشواهد من اللغة الفرنسية .

وقد اجملت دائرة المعارف الاسلامية والدكتور منصور فهمي الادلة التي اعتمد عليها المستشرقون في انكار الاضداد ، فكانت كما يلي :

1 ــ كانت معظم الكلمات التي اوردها مؤلفو الاضداد معروفة عند العرب بمعنى واحد فقط .

اما المعنى الآخر المضاد له فلم يرد الا في روايات نادرة ، بل روايات جديرة بالشك . ولا ريب ان بعض الالفاظ التي اوردتها كتب الاضداد من هذا القبيل ، مثل ذلك ما

---

(15) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اضداد .
(16) الاضداد 1 .
(17) الاضداد 3 .

ما رواه ابو زيد (18) : « تصدق الرجل : اذا اعطى صدقته. وبعض العرب يقول: تصدق: سال، والجيد: تصدق : اعطى » . ولكن يجب الا يغيب عن بالنا ان القدماء انفسهم ــ وجامعي الاضداد ــ هم الذين نقدوا مثل هذا اللفظ ، وابانوا الرديء والجيد منه ، كما نرى في النص السابق ، ومقابله عند ابن الانباري (19) : « يقال : قد تصدق الرجل : اذا اعطى ، وهو المعروف المشهور عند اكثر العرب ، وقد تصدق : اذا سال وهو القليل في كلامهم » وعند ابي الطيب (20) : «قال ابو حاتم : والمعروف عند العرب تصدق : اذا اعطى الصدقة » . وامثال هذا النقد كثيرة عند ابي حاتم وابن الانباري وابي الطيب خاصة . .

2 ــ يعوز اكثر ما ذكروا من الاضداد الشواهد الموثوق بها ، حتى قال جيز Giese انه لم يعثر في الشعر القديم الا على 22 لفظا من الاضداد. وذهب هرشفلد الى ابعد من ذلك . فعقب على قول جيز معلنا (21) أن هذا العدد يمكن ان نقلل منه لو ازدادت معرفتنا بالمعاني الاصلية لهذه الالفاظ . وكان ابن الانباري هو الذي لفت المستشرقين الى الشك في الاضداد التي لا يوجد شواهد عليها ، اذ فعل ذلك في الحميم قال (22) : « قال بعض الناس: الحميم من الاضداد، يقال الحميم للحار ، والحميم للبارد. ولم يذكر لذلك شاهدا ، والاشهر في الحميم الحار . . » . واعلن ان الشاهد هو الدليل على صحة التضاد حين قال (23) : « قال بعض اهل اللغة : الضد يقع على معنيين متضادين ، ومجراه مجرى الند . يقال فلان ضدي : اي خلافي ، وهو ضدي : اي مثلي . قال ابو بكر (ابن الانباري) : وهذا عندي قول شاذ لا يعول عليه ، لان المعروف من كلام العرب: العقل ضد الحمق ، والايمان ضد الكفر . والذي ادعى من موافقة الضد للمثل لم يقم عليه دليلا تصح به حجته » .

ولكن الحق ان القدماء اوردوا كثيرا من هذه الالفاظ ، او كثيرا من المعاني المتضادة ، مهملة . فلم يوردوا لها شواهد البتة ، او اوردوا منها ما يشهد للمعنى المعروف وتركوا المعنى غير الشائع بدون شواهد . مثال ذلك دهور، وزجور، ونهوز، وبحتر، في اضداد قطرب (24) ، وعنه روته بقية كتب الاضداد دون ان تكترث لاضافة الشواهد (25) . والامر نفسه نجده في اضداد الاصمعي (26) ، وابي حاتم (27) ، وابن السكيت (28) ، وغيرهم . ولكننا يجب ان نحترس هنا ايضا ، فان القدماء لم يكونوا يشعرون بوجوب ايراد الشواهد على كل ما يسمعون ويروون ، وخاصة اذا كان اللفظ قد سمعوه في غير شعر . بل انهم تخففوا في بعض الاحيان من بعض الشواهد التي كانت بين ايديهم ، كما فعل ابو حاتم عندما حذف بعض شواهد الاصمعي من امثال شوهاء ومعبد ومغلب .

3 ــ لا يجوز الاعتماد في اثبات التضاد على موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الاصل اللغوي لهذا اللفظ . والمراد بهذا النظر الى معنى اللفظ في حال افراده عندما يركب في جملة ، لان السياق قد يكسبه معنى جديدا ، هو الذي يخرجه الى التضاد مثال ذلك قول ابن الانباري (29) : « ومن الاضداد ايضا قول العرب للرجل : « ماظلمتك وانت تنصفني» يحتمل معنيين متضادين : احدهما ما ظلمتك وانت

---

(18) ابو حاتم 116 . ابن الدهان 14 .
(19) 110
(20) 437
(21) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، سنة 1895 ، ص 223 .
(22) 82 . وانظر اضداد ابي الطيب 208 .
(23) 7 .
(24) 11 ، 15 ، 18 ، 49 .
(25) ابن الانباري 255 ، 242 ، 244 ، 257 . ابو الطيب 273 ، 332 ، 650 ، 85 .
(26) 17 ، 30 ــ 32 .
(27) انظر ادم ، افلت ، مؤدي ، اسد ، اضب ، امعن ، وغيرها .
(28) 196 ، 199 .
(29) 160 .

ايضا لم تظلمني ، بل مذهبك انصافي ، واستعمال ما استعمله من ترك الظلم لك والجنف عليك والمعنى الآخر : ما ظلمتك لو انصفتني ، فاما اذ لم تنصفني فاني اكافئك بمثل فعلك . وقول الله عز وجل : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يفسر تفسيرين متضادين : احدهما : وما كان الله معذبهم واولادهم يستغفرون، اي قد وقع له في علمه جل وعز انه يكون لهم ذرية تعبده وتستغفر لهم . فلم يكن ليوقع بهم عذابا يجتث اصلهم ، اذ علم ما علم من صلاح اولادهم وعبادتهم له جل وعلا . والتفسير الآخر : وما كان الله معذبهم لو كانوا يستغفرون ، فاما اذ كانوا لا يستغفرون فانهم مستحقون لضروب العذاب التي لا يقع معها البوار والاصطلام ، بل تكون كما وقع بهم من عذاب الجدب في السنين التي لحقتهم فاكلوا فيها الجيف والعلهز ، وكعذاب السيف والاسر الذي لحقهم يوم بدر وغيره . والله اعلم بحقيقة ذلك كله واحكم » .

ولم يلتفت المؤلفون الاولون في الاضداد لهذا النوع ولم يشيروا اليه في كتبهم . وانما ظهر في القرن الرابع عندما شاعت بين الكتاب الرغبة في الاحاطة والاتساع والاتيان بما لم يات به السابقون. فتجلى عند ابن الانباري، ومن اخذ عنه من اللاحقين عليه كابن الدهان والصغاني .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى الاسباب السابقة سببا آخر ، يمكن ان نسميه ـ اذا احسنا الظن ـ تساهل اللغويين ، واذا اسأناه سميناه حب التكثر والتزيد والتباهي بما اورده كل منهم من الاضداد . فقد دفعهم ذلك الى ايراد كثير من الالفاظ لا صلة لها بالاضداد ، وانما هي من المشترك ، مثل العصر والحزور والروح والقلب والفاد وزنا ونسل.. الخ .

وتوجد الى جانب ما ذكرت عدة اسباب اخرى اوردها المستشرقون والدكتور منصور فهمي ، ولكن تنقصها صفة العموم التي تتحلى بها الاسباب التي ذكرتها . فهي لا تتحدث الا عن نوع واحد من الاضداد، ولذلك ابقيها الى حين معالجة انواع الاضداد ..

اصل الاضداد

منذ تنبه اللغويون الى الاضداد، واختلفوا فيها، وهم في محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشأتها ، وكيف وجدت في اللغة . واشترك في هذه المحاولة من اتفقت آراؤهم ، ومن اختلفت ، ومن اعترفوا بها ومن رفضوها ، والقدماء والمحدثون ، والعرب والمستعربون . وان كثيرا من الآراء التي اتى بها منكرو الاضداد هي في الحقيقة محاولة لتعليل وجودها ، ولذلك ادخرتها لاوردها هنا .

واختلفت الطرق التي سلكها العرب وغير العرب في دراسة هذه الظاهرة اللغوية، في كثير من الاحيان. فقد اوغل بعض المستشرقين في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى العصور القديمة، عندما كان العقل البشري في سذاجته، فلم يكن يفطن لما يعتريه من تناقض . وكان قائل هذه النظرية هو ابل Abel اذ اعلن ان الاضداد هي البقية الباقية مما كان للاوائل من تناقض منطقي في التفكير . ولكن هذا القول لم يلق رواجا حتى في اوساط المستشرقين ، فرد عليه فيل Veil ورفضه هو وراي لجست Leguest الذي ارجع الاضداد الى اشتقاقات مبالغ فيها ..

وتوسط بعضهم في الايغال ، فلم يرجع الى التاريخ البشري ، واقتصر على التاريخ العربي القديم . فاعلن جيز ان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم . ولما كان معناها الاصلي قد تختلف ايحاءاته ، فقد ادى ذلك الى التضاد في العربية . وضرب مثالا لذلك بلفظ (جلل). اعلن ان العربية اخذته من اللغة العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج . واذ كان الشيء المدحرج ثقيلا احيانا ، وخفيفا احيانا ، فقد اعتمدت العربية على هذين الايحاءين المتضادين للكلمة الواحدة واعطتها معنيين متضادين هما عظيم وحقير .

واقتصد بعضهم الآخر ، ونظر في تاريخ الجماعة الواحدة ، فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج . وضرب جيز مثالا لذلك بالفعلين باع وشرى . فقد كان المعنى الاصيل لهما بادل، حين كان البيع والشراء يقوم على مبادلة السلع . فلما عرفت النقود ، اختص كل فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل . ولكن رواسب العهد القديم بقيت حية ، فكانت تلقي ظلالها على معنى الفعلين ، فتخلط بينهما .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى المثال السابق مثالا من حياتنا الحاضرة ، يلتبس فيه معنى الفعل لحداثة عهد الناس بالحديث الذي يدل عليه . فلما

كنا حديثي عهد بالقناطر (الكبارى) التى تفتح وتغلق، لم نستطع ان نستقر بعد على اعطاء لفظ واحد لكل من عمليها . فنحن نقول : فتحت القنطرة اذا اغلقت فى وجه المارة وفتحت للمراكب ، واذا فتحت امام المارة واغلقت طريق المراكب ايضا . وربما اجتمع الى حداثة العهد اختلاف النظرة .. فاصحاب المراكب يقولون عنها : فتحت ، اذا فتحت لهم واغلقت فى وجه المارة ، وهؤلاء يقولون : فتحت ، ان حدث العكس . ولكن هؤلاء وهؤلاء غير منفصلين ، ومن هنا صار للكلمة معنياها المتضادان والشائعان معا ..

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد ، وما يسودهما من ظواهر ذات تاثير فى اللغة . فذهب الى ان بعض المعاني المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتداعى فى الذهن ، فتؤدي الى الاضداد . مثال ذلك كلمة « البين » التى تطلق على الفراق والاجتماع ، والسبب فى ذلك ان الانسان قد يفترق وحده عن جماعته ، وقد يفترق فيلحق بجماعة اخرى . ولا يختلف هذا القول كثيرا عن القول الآخر الذى اوردته دائرة المعارف الاسلامية ايضا منسوبا الى جيز ، ويرى ان الارتباط بين المعنى قد يكون بسبب ان احدهما نتيجة للآخر. مثل خفي البرق بمعنى ظهر واستتر . فان البرق لا يكاد يظهر حتى يختفي ، فالظهور والاختفاء متلاحقان ، وثانيهما نتيجة لاولهما. ومثل « ناء » بمعنى نهض بالحمل فى مشقة ، وحمل الحمل . ومثلهما ما سماه تداخل الاحداث ، فما كان ءاخرا لامر قد يكون اولا لغيره ، وما يكون اولا لامر قد يكون آخرا لغيره مثل « السدفة » فهي الوقت الذى بين النور والظلمة ، يمكن ان تختلف فيها القبائل أو الافراد بل سامعوها من اللغويين فيظنوا ان المراد بها النور وحده أو الظلام وحده .

وءاخر ما جعله جيز من اسباب التضاد غموض الانفعالات والمشاعر وانبهامها واختلافها من شخص الى ءاخر ، وتسرب هذا الغموض الى الالفاظ التى تدل عليها حتى يؤدي بها ذلك الى التضاد . مثال ذلك الذفر ، التى تطلق على الرائحة الطيبة والكريهة . وسبب ذلك اختلاف شعور الانسان بها ، اذ يحبها شخص ويرتاح اليها ، ويتافف منها ءاخر وينفر لشدتها ..

اما اللغويون العرب فقصروا جهودهم على الاضداد العربية ، ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا ، وحاولوا ان يتبينوا اصولها ونشاتها ومسالكها فى اللغة العربية نفسها . واكثر الآراء التى رايتها شيوعا عندهم كون كثير من هذه الاضداد من ءاثار اللهجات الكثيرة التى ضمتها العربية الفصحى. قال ابن الانباري (30) : « قال ءاخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال ان يكون العربي اوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن احد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الاخر لحي غيره . ثم سمع بعضهم لغة بعض فاخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء .. فالجون الابيض فى لغة حي من العرب ، والجون الاسود فى لغة حي ءاخر . ثم اخذ احد الفريقين من الاخر ..» . وترددت اصداء هذا القول عند ابي علي الفارسي (31) ، وابن الدهان(32) ثم الكتاب المحدثين . وكان احد الدعائم التى استند اليها ابن درستويه (33) فى انكار الاضداد ..

وأورد ابن الانباري رايا آخر لم ينسبه الى احد ، وكان له صداه ، ايضا فى الدراسات اللاحقة . قال (34) : وقال ءاخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالاصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع . فمن ذلك الصريم ، يقال لليل صريم . وللنهار صريم ، لان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فاصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع . وكذلك الصارخ المستغيث ، سميا بذلك لان المغيث يصرخ بالاغاثة، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فاصلهما من باب واحد ..» .

وقد جعل الشيخ محمد الخضري هذا القول واحدا من رايين له فى تعليل نشاة الاضداد قال (35):

(30) 11 .
(31) المخصص 13 : 59 .
(32) 5 .
(33) المزهر 1 : 385 .
(34) 8 .
(35) الاصول 174 .

اولهما ان يكون بين المعنيين فكرة واحدة تجمعهما فيصلح اللفظ لكل منهما لاشتراكه في هذه الفكرة . وحين يغفل الناس عن هذه الفكرة المشتركة يظنون ان اللفظ من الاضداد . مثال ذلك الصريم ، هو الليل او النهار . واصل اللفظ من الانصرام بمعنى الانسلاخ ، فالليل صريم لانه ينسلخ من النهار ، والنهار صريم لانه ينسلخ من الليل، وهما متداخلان. ومصداق ذلك الآية الكريمة : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » .

ونستطيع ان نضع تحت هذا القول ما علل به عبد الفتاح بدوي التضاد في الفعل باع . فقد راى ان المعنى الاصلي له مد باعه ، سواء للاخذ او العطاء، ومن هنا اطلق على الشاري والبائع لان كلا منهما يفعل ذلك في وقت البيع .

وجاء ابن درستويه بعلتين اخريين للتخالف والتضاد في معنى الكلمات . قال السيوطي (36) حاكيا قوله : « : فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين او احدهما ضد للاخر لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية . ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا العلل ، كما يجيء فعل وافعل . فيتوهم من لا يعرف العلل انهما لمعنيين مختلفين ، وان اتفق اللفظان . والسماع في ذلك صحيح من العرب ، فالتاويل عليهم خطأ . وانما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ، او لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتاول فيه الخطأ . وذلك ان الفعل الذى لا يتعدى فاعله ، اذا احتيج الى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذى هو عليه حتى يغير الى لفظ ءاخر ، بأن يزاد في اوله الهمزة ، او يوصل به حرف جر بعد تمامه ، ليستدل السامع على اختلاف المعنيين . الا انه ربما كثر استعمال بعض هذا الباب في كلام العرب ، حتى يحاولوا تخفيفه ، فيحذفوا حرف الجر منه ، فيعرف بطول العادة ، وكثرة الاستعمال، وثبوت المفعول واعرابه فيه خاليا عن الجار المحذوف. او يشبه الفعل بفعل ءاخر متعد على غير لفظه ، فيجري مجراه لاتفاقهما في المعنى ، كقولهم: حبست، الدابة ، وحبست ما لا على المساكين » . فاسباب التخالف عنده تداخل اللغات ، وحذف حرف التعدية من الفعل اللازم لكثرة الاستعمال ، وتشبيه الفعل بمرادفه في المعنى او ما نعرفه اليوم باسم التضمين. ويجدر بنا – قبل ان نترك ابن درستويه – ان نلاحظ انه اضطر الى الاعتراف بانه « قد يجيء الشيء النادر من هذا » في اللغة ، فهو لم يستطع ان ينكر وجود هذا النوع المتخالف والمتضاد من الالفاظ في اللغة ، ويعلن خلوها التام منه ، وانما اعلن انه « نادر » وله علله ..

واسهم ابو علي الفارسي في التعليل ايضا ، فاضاف العلة المجازية . روى ابن سيده عنه (37) : « اما .. اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي الا يكون قصدا في الوضع ولا اصلا . ولكنه من لغات تداخلت ، او تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الاصل » . وقد كان لهذا الراي الاخير صداه الواسع في تقسيم الاضداد بعد ذلك .

هذه هي الآراء التي جاء بها القدماء في معرض تعليل الاضداد حينا ، ومعرض انكاره حينا ءاخر . وتلقفها عنهم المحدثون فاذاعوها بينهم مقتصرين عليها تارة ، ومتسعين فيها اخرى ، ومتشعبين بها في احوال كثيرة حتى خلصوا الى ءاراء ما كانت تدور في خلد القدماء ..

وبقي امامي المذهب الثاني الذي جعله الشيخ محمد الخضري (38) علة لنشأة الاضداد وهو ان يطلق اللفظ على شيء واحد ، تتغير مظاهره احيانا، فلا يفطن السامع الا الى المظهر ، فيحكم بالتخالف والتضاد .. مثال ذلك عنده الجون ، فالاصل فيها ان تطلق على السحاب . ولما كان من السحاب الابيض ومنه الاسود فقد ظن اللغويون ان هذه الصفة مراعاة في اللفظ ، وانه يطلق على الابيض من السحاب تارة ، وعلى الاسود اخرى ، فهو اذن من الاضداد . وليس الامر كما ظنوا ، فلا تضاد في اللفظ لانه لا يدل الا على السحاب مجردا من كل صفة ..

وءاخر العلل التي عثرت عليها ما اضافه الدكتور منصور فهمي مستقيا اياه من اقوال القدماء عن

---

(36) المزهر 1 : 385 .
(37) المخصص 13 : 59 .
(38) الاصول 174 .

التفاؤل والتطير والتهكم ، اذ ان العرب اعتادوا ان يعدلوا عما يكرهون من الفاظ الى ما يحبون ، فسموا الصحراء المهلكة : المفازة من الفوز ، والاعمى : البصير ، والملدوغ : السليم : ونادوا الجاهل بقولهم : « يا عاقل » . ولا زلنا نحن نسمع فى المقاهي عبارة: « خذ المليان » يريدون بها الاكواب الفارغة .

ويؤدي بنا التامل الدقيق فى العلل التى أوردها الدارسون للغة العربية نفسها دون محاولة للفلسفة او للعثور على نظرية عامة او الابعاد فى مجاهل التفكير البشري ، يؤدي بنا هذا النوع من التامل الى ان اهم ما قالوا من علل واخطره هو « المعنى الاصلي للالفاظ » . فنحن فى حاجة الى اعادة النظر فى هذه الالفاظ ، وفيما ذكره لها اللغويون من معان، وفى حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذى لا يأبه بما حولها من ملابسات ، ولا بما يرتبط بها من ظواهر ، ولا بما يؤدي اليه من نتائج ، ولا بما قطعه اللفظ من اشواط سائرا فى طريق معتدلة هانا ومعوجة هاونة . فان وصلنا الى ذلك المعنى ، غمرنا الضوء من كل مكان ؛ واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما احيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض احيانا ، وعرضة للخطأ احيانا اخرى ..

واما بقية العلل فهي ارتياد لبعض الطرق التى سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد مثل اللغات ، والمجاز ، والحذف للتخفيف ، وما اليها من امور .

كذلك يؤدي بنا التامل الدقيق فى الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقة واقعة . اعني انه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات من ينكر وجود الاضداد فى اللغة العربية الفصحى . فمن رفضوا الاضداد رفضوا اصالتها ، اريد انهم رفضوا ان تكون وضعت اصلا للمعنيين المتضادين . ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين فى كل شيء، بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدهما لفظين متمايزين ، غير ان معنييهما متضادان . كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها فى تيار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة . فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع من الالفاظ (الذى نسميه الاضداد) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد ، والطرق التى سلكتها حتى وصلت الى التيار الحالي ..

ويؤدي بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون ، هي قلة الاضداد فى اللغة العربية الفصحى . فابن درستويه من المعارضين يصفها « بالشيء النادر » ، وابن الانباري من المؤيدين يقول (39) : « هذا الضرب من الالفاظ هو القليل الظريف فى كلام العرب » .

شروط الاضداد

اذا كان من انكر الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا عنه ، عندما استقصى النظر فى اللغة ، او احتوى قوله على ما يومىء الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الاضداد او بعضهم .

فقد كان فى وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ قلائل فى اللغة . فحاولوا جمعها وابرازها . وتحت اثر من هذا الاحساس ، ومن هذه الغاية ، جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة عدوها اضدادا ، وهي واهنة الصلة بها . وكان اكثر المؤلفين وقوعا تحت هذا الاثر قطرب : اول من كتب عن الاضداد .

فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله فى كتابه كيلا يتهم بانه فاته من الاضداد شيء (40) . ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخذوا يتخلصون من هذا الاثر ، بعد ان راوا امامهم من كتب فى الاضداد . فاخذوا يعيدون النظر فيها ، وفى اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا . وعند تتبع هذا النقد استخلصت كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر فى اللفظ حتى يدخلوه فى الاضداد . ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التي دونوها فى كتبهم . وبالرغم من ذلك اتتبع هذه الشروط لاهميتها فى توضيح «صورة الاضداد» فى اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق فى كتبهم .

واهم مؤلف يكثر عنده هذا النوع من الاقوال هو ابو بكر محمد بن القاسم الانباري . ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية فى اللفظ ليعده من الاضداد :

---

(39) 6 .

(40) ابو الطيب 688 .

1 ـ ان تكون صيغة اللفظ ذي المعنيين المتضادين واحدة . فاخرج من الاضداد ما كان احد المعنيين لافعل والآخر لفعل . قال (41) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد خلمت النعل : اذا انقطعت عروتها وشسعها ، واخلمتها : اذا اصلحت عروتها وشسعها . وهذا ليس عندي من الاضداد ، لان (خلمت) لا يقع الا على معنى واحد ، وكذلك (اخلمت) . ولفظ اخلمت يخالف لفظ خلمت . وما لم يعبر الا عن معنى واحد بلفظه لا يكون من الاضداد » . واتفق ابو الطيب اللغوي مع ابن الانباري في هذا الراي ، بل في كلامه الذى اذكره بعد ما يدل على اتفاقه معه في حديثه عن كل الصيغ التالية .

واخرج ابو بكر منها ما جاء على فعل المجرد وفعل المضاعف . قال (42) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : بدن الرجل : اذا حمل اللحم والشحم ، وبدن تبدينا : اذا اسن وكبر وضعف . قال ابو بكر : وليس الامر عندي على ما ذكر قطرب ، لان (بدن) لفظه يخالف لفظ (بدن) . وما لا يقع الا على معنى واحد لا يدخل في حروف الاضداد» .

واخرج منها على ما كان على فعل وفعل وفعيل من الصفات . قال (43) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : رجل نجد : اذا كان سريع الاجابة الى الداعي اذا دعاه .. ويقال : رجل نجد : اذا كان مفزعا من اي وجه .. وقال غير قطرب : يقال للمفزع : منجود ونجيد .. قال ابو بكر : وليس النجد عندي من الاضداد ، لان العرب لا توقعه الا على معنى واحد ، وما كان بهذه الصفة لا يدخل في الاضداد » .

واخرج ما كان على فاعل ومفعول ، قال (44): « ومن حروف الاضداد : الطاحي : المنضجع . والطاحي : المرتفع ... هذا قول قطرب . وليس الطاحي عندي من الاضداد ، لانه لا يقال طاح للمنخفض ، انما يقال للمنخفض مطحو ومطحى » .

واخرج ما كان فعلا واسما ، قال (45) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد جمرت المراة : اذا جعلت لها كالنزعتين من حلق ونتف ـ والنزعة : ما ينحسر من شعر جانبي الراس الذى يعضد نابت في الجبين ـ قال : ويقال للذؤابة جمار . ويقال : للمراة جماران ، اي ذؤابتان ضفرتا مقبلتين على وجهها .. فقول قطرب : جمرت المراة ولها جماران من الاضداد ، ليس بصحيح ، لان جمرت لا يكون بمعنى وفرت الشعر ، ولا يقال : جمار لما يضاد الذؤابة ، فلا وجه لادخاله في حروف الاضداد » .

فابن الانباري يشترط ان يكون المعنيان المتضادان لفعلين او اسمين او صفتين ، وكل منها على وزن واحد ، ولا يحكم بالتضاد فيما شذ عن ذلك .

كذلك اشترط ان يكون للصيغة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد ، قال (46): « قال بعض الناس : طرب : حرف من الاضداد . يقال : طرب اذا فرح ، وطرب اذا حزن .. ولم يصب هذا القائل عندي ، لان الطرب ليس هو الفرح ولا الحزن ، وانما هو خفة تلحق الانسان في وقت فرحه وحزنه » .

واتفق ابو الطيب اللغوي معه في هذا الراي ، قال (47) : « ابو حاتم وقطرب قالا : ومن الاضداد المأتم . فالمأتم النساء المجتمعات في فرح وسرور ، والمأتم النساء المجتمعات في غم وحزن ومناحة ... وقال غيرهما : المأتم جماعة النساء ، لا واحد لها من لفظها ، وسواء كن في وليمة او مناحة او في غيرهما بعد ان يكن مجتمعات . فعلى هذا ليس المأتم عنده من الاضداد » .

---

(41) 276 . وانظر 583 ، 291 ، 298 ، 304 .
(42) 310 .
(43) 320 .
(44) 302 .
(45) 279 .
(46) 57 . وانظر 58 ، 92 .
(47) 21 . وانظر 37 ، 57 .

واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون هذان المعنيان فصيحين لا من ابتكار العامة ، قال (48) : « قال قطرب : الحرفة من الاضداد ، يقال : قد احرف الرجل احرافا اذا نما ماله وكثر ، والاسم الحرفة من هذا المعنى . قال : والحرفة عند الناس الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب انما تقولها العامة » .

واشترط ان يكون المعنيان معروفين استعملهما العرب في حوارهم . قال (49) : « قال قطرب : من الاضداد : الهجر ، يقال : هجرت الرجل : اذا اعرضت عنه ، وهجرت الناقة : اذا شددت في انفها الهجار ـ وهو حبل ـ لتعطفها على ولد غيرها .. وهذا القول عندي بعيد ، لان المعنى الثاني لم يستعمل في الناس ».

ويبدو ان ابا الطيب اللغوي يتفق مع ابن الانباري في هذا الراي ايضا ، وان لم يعلن ذلك صراحة » قال مثلا (50) : « قال قطرب ، ومن الاضداد التفل . فالتفل المنتن ، والتفل المتطيب . قال ابو الطيب : المعروف من التفل المنتن » .

واشترط ابو الطيب الا يكون المعنى الثاني مجازيا . فاخرج من الاضداد (51) : « ما جاء مسمى باسم غيره ، لما كان من سببه » مثل العشراء الذي يطلق على الناقة التي بلغت عشرة اشهر في حملها ، والناقة التي نتجت حديثا ، والارة الذي يطلق على الحفرة التي فيها النار ، وعلى النار نفسها .

واشترط في المعنى الا يكون مقلوبا او مزالا عن جهته ، مثل قولهم ناء بي الحمل ، ويا خيل الله اركبي . ولم يعد ذلك من الاضداد (52) .

وانفرد ابو الطيب اللغوي باخراج مجموعة من الالفاظ تتضاد في معانيها وتتماثل في صورتها ، ولكن هذه الصورة المتماثلة في ظاهرها مختلفة في حقيقتها ، اذ تختلف العلل ، الصرفية التي وصلت بها الى صورتها . مثال ذلك قوله (53) : « ومن الاضداد ـ زعم التوزي ـ قولهم : رجل مود اي هالك ، ورجل مود اذا كان ذا سلاح قويا . قال ابو الطيب : وليس كذلك ، لان المودي الهادي غير مهموز ، وفاء الفعل منه واو ، يقال : اودى الرجل يودي ايداء اي هلك .. والمؤدي من السلاح مهموز ، وفاء الفعل منه همزة ، وانما معناه ذو اداة الحرب . يقال : قد ادى يؤدي : اذا تمت اداته للحرب وسلاحه .. فهذا غير الاول » . وقد ادى به هذا التصور للاضداد الى ان يخرج منها ما جاء على مفتعل ومفتعل مما عينه منقلبة عن ياء او واو ، اذ لا يبين فيه كسر العين وفتحها لسكون الالف، مثل المبتاع والمجتاب والمجتاح ، ومن المدغم العين في اللام ، مثل المبتز والمحتز والمختص . ووضعه في اخر الكتاب (54).

واخرج مجموعة تماثلها لاختلاف حرف العلة الاصلي فيها ، قال (56) : « قال ابو حاتم : ومن الاضداد قولهم : ضاع فلان ، من الضياع ، وضاع الشيء اذا ظهر وبدا .. قال اللغوي ، واما انا فلا ارى هذا من الاضداد ، لان شرط الاضداد ان تكون الكلمة انواحدة بعينها تستعمل في معنيين متضادين، من غير تغيير يدخل عليها . وقولهم : ضاع يضيع من الضياع انما الالف فيه منقلبة عن ياء ... وقولهم ضاع اذا ظهر الالف فيه منقلبة عن واو »

بل ذهب الى ابعد من ذلك واخرج من الاضداد ما اختلفت صيغ المجرد والمصدر منه من الافعال ، وعد ذلك اختلافا بينهما . قال (57) : « ومن الاضداد القانع ، زعموا . قالوا : فالقانع الراضي ، والقانع السائل الطالب... قال عبد الواحد: ليس هذا عندي من الاضداد ، لان شرط الاضداد ، على ما اصلنا

---

(48) 267 .
(49) 213 . وانظر 288 ، 289 ، 300 ، 346 .
(50) 113 . وانظر 163 .
(51) 711 .
(52) 720 .
(53) 671 .
(54) 691 .
(56) 452 .
(57) 577 .

اولا ، ان تكون الكلمة الواحدة تنبيء عن معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها ، ولا اختلاف في تصرفها .. والقانع بمعنى الراضي يقال منه قنع يقنع ، مثل شرب يشرب ، والمصدر قناعة وقنعا وقناعا وقنعانا ـ اي رضي ـ فهو قانع وقنوع . والقانع ـ بمعنى السائل ـ يقال منه قنع يقنع مثل صنع يصنع ، والمصدر قنوعا لا غيره ... واذا تغير البناء لتغيير المعنى فليس من الاضداد » .

ونستخلص من هذا غموض صورة الاضداد في ذهن قطرب او عدم وجود حدود لها ، واخذها في الوضوح والجلاء والتحدد على مر الزمن .. فكانت اللمحات الاولى عنها عند ابي حاتم السجستاني . ثم كان كمال البروز والتحدد عند ابن الانباري وابي الطيب .

انواع الاضداد

نستشرف من الحديث السابق عن اسباب الاضداد ، والاختلاف فيها ، وتغير تصورها عند اللغويين ، نستشرف منه ان الاضداد لم تضم ثلة واحدة من الالفاظ كان من المحتمل ان يتفق عليها العلماء او على كثير من الظواهر المتصلة بها .

وبالرغم من احساس العلماء المبكر بأن الاضداد ثلات عدة ، لم اجد بين القدماء من حاول ان يصنفها، تصنيفا قاصرا او شاملا . وبالرغم من أن المحدثين اضطروا الى الفصل بين انواع منها ، ليسهل عليهم رفضها او تعليلها ، فانهم لم يرتقوا بهذا الفصل الى ان يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذي حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوي . ويبدو انه اراد ان يعوض ما فات اللغويين ، فاعطانا تقسيمين لا واحدا . اما التقسيم الاول فصغير ومحكم ، ويقوم على اساس نحوي . فقد جعل الاضداد اربعة انواع :

1 ـ اضداد في اللفظ المفرد ، كالقرء للحيض والطهر .

2 ـ اضداد في الفعل ، كظن للشك واليقين .

3 ـ اضداد في التراكيب ، كعبارة « تهيبت الطريق وتهيبتني الطريق» .

4 ـ اضداد في المتعلقات ، كرغب عنه ورغب فيه .

وكان التقسيم الثاني واسعا ، ينظر الى عدة اسس بحيث تغيب عن النظر الذي يريد ان يصل اليها . فالاضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف ، هي :

1 ـ الاضداد التي تحقق المعنى في كل من المتعلقين على حد سواء ، مثل اطلاق الصارخ على كل من المغيث والمستغيث .

2 ـ الاضداد التي يكون احد معنييها حقيقيا والاخر مجازيا ، مثل اطلاق الكاس على الاناء والشراب الذي فيه .

3 ـ الاضداد الآتية من لهجات مختلفة ، مثل وثب وسجد .

4 ـ الاضداد التي يصح ان ينسب مصدرها الى اي من الطرفين ، مثل اطلاق المولى على السيد والخادم .

5 ـ الاضداد التي تتوافق منطقا وتختلف تصريفا ، مثل اطلاق المختار على الشخص الذي اختار ، والشيء الذي اختير .

6 ـ الاضداد الناتجة عن المتعلقات ، مثل رغب فيه ورغب عنه .

7 ـ الاضداد الناتجة عن السياق ، مثل : « نسوا الله فنسيهم » .

8 ـ الادوات والحروف ، مثل ان واذ واذا .

9 ـ الاضداد الناتجة من التفسير ، مثل شاة درعاء ، ومآتم ..

10 ـ الاضداد الناتجة من تعسف اللغويين ، مثل بعض .

ومهما يكن من شيء ، فانني لن اعنى كثيرا بالتقسيمات النظرية ، وان كنت لن اهملها كل الاهمال . واجعل همي كله في تتبع الانواع المختلفة التي ادخلها مؤلفو الاضداد فعلا . في كتبهم ، اذا اختلف النظر والتطبيق عندهم . وابدا باول مؤلف : قطرب ، اذ توسع في تصور الاضداد اكثر من غيره، حتى اضطر من جاء بعده الى نقده . ورفض كثيرا منها . ولن اقف عند التقسيم ، بل اتبع كل صنف بما وجه اليه من نقد . وهاك ما وجدته من اصناف عند قطرب :

1 ـ الاضداد الحقيقية ، اعني الالفاظ ذات المعنيين المتقابلين عنده . قال (58) : « العقوق للحامل والعقوق للحائل ايضا» . وقال (59) : وقالوا في الاضداد : النحاحة : السخاء ، والنحاحة : البخل » . ونازعه غيره في تضاد بعض ما جاء به من الفاظ .

قال ابو الطيب (60) : وحكى : يقال : بردت الماء ، من البرد ، اي جعلته باردا . وبردته : سخنته. قال : وانشدنا بعضهم :

شكت البرد في المياه ، فقلنا
برديه توافقيه سخينا

قال قطرب: معنى برديه في هذا البيت سخنيه. وقال ابو حاتم : هذا خطأ ، انما هو برديه (يريد : بل رديه) من الورود ، ولكنه ادغم اللام في الراء ، كما يقرأ (كلا ، بل ران على قلوبهم) قال ابو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت». وقال ابن الانباري عن لفظ «اخر (61) : « ومن حروف الاضداد البحتر : يقال رجل بحتر ، اذا كان قصيرا ـ او بهترا بالهاء ايضا ـ ويقال : رجل بحتر اذا كان عظيما . ذكر هذا قطرب ، وما علمنا احدا وافقه على ان البحتر يقال للعظيم » .

2ـ الالفاظ المتضادة المعاني من اختلاف الصيغ ، مثل فعل وافعل ، وفعل وفعل من الافعال، وفعل وفعل وفعيل من الصفات . وقد اوردت «انفا امثلتها ، وما وجهه اليها ابن الانباري وابو الطيب من نقد، واخراجهما اياها من الاضداد. والحق معهما، ولذلك لم يوافق قطربا من اتى بعده من مؤلفي الاضداد. فاستبعده اكثرهم من كتبه . وربما كان واجبا ان نستثني ابا عبيدة والتوزي من هذا الحكم ، اذ يبدو انهما اورداه في كتابيهما . قال ابو الطيب (62) : « قال ابو عبيدة : ترب الرجل يترب تربا : اذا لصق بالتراب من الفقر .. واترب الرجل يترب اترابا : اذا كثر ماله ككثرة التراب . فالترب المحتاج ، والمترب الغني» وقال ابو الطيب ايضا (63) : « قال التوزي : ومن الاضداد ثبت الرجل اذا اعطيته من الثواب ، واثبته اذا طلبت نواله . قال ابو حاتم : ولا اعرف الثاني الا توهما » .

اما الاصمعي فوجدت عنده مثالا لو صح وضعه مع ابي عبيدة والتوزي . قال (64) : « قسط : جار. واقسط بالالف : عدل لا غير . قال الله جل ثناؤه : (واقسطوا ان الله يحب المقسطين) اي العادلين . وقال في الجائرين : (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) .. » . ويخيل لي ان في العبارة سقطا ، وتتمتها : « قسط : جار ، وقسط : عدل . واقسط بالالف:عدل لا غير» بدليل عبارة(لا غير) وبدليل ورودها على هذه الصورة عند ابن السكيت الذي يروي كثيرا من الاضداد عن الاصمعي ، وورودها كذلك عند غيره.

3 ـ الالفاظ التي تتفق في الصيغة والحدث، وتختلف في نسبته الى من قام به او من وقع عليه . ومثالها فعيل التي تدل على الفاعل والمفعول . قال (65) : «الربيبة : التي تربب . والربيبة : التي تربت. قال الله عز وجل في الربيبة : « وربائبكم اللاتي في حجوركم » .

---

(58) 69 . واورده ابو حاتم 224 ، وابن الانباري114 ، وابو الطيب 495 ، وابن الدهان 15 والصغاني 588 .
(59) 133 . واورده ابو حاتم، 253 ، وابن الانباري 301 وابو الطيب 650 وابن الدهان 20 ، والصغاني 670 .
(60) 86 . واورده ابن الانباري 31 ، وابن الدهان 7 .
(61) 257 . واورده قطرب 49 ، وابو الطيب 85 ، وابن الدهان 7 ، والصغاني 389 .
(62) 115 . واورده ابن الانباري 291 .
(63) 124 .
(64) 21 . واورده قطرب 98 ، وابن السكيت 293 وابن الانباري 26 وابو الطيب 594، وابن الدهان 17 ، والصغاني 625 .
(65) 84 . واورده الاصمعي 80 ، وابو حاتم 174،وابن السكيت 353 ، وابن الانباري 85 وابو الطيب 310 ، وابن الدهان 11، والصغاني 472 .

وصيغة فعول ، قال (66) : « ومنها قول الله عز وجل : (فمنها ركوبهم) لما يركب . وركوب للفاعل ايضا مثل ضروب وقتول . وقالوا : مكان ركوب : اي مركوب . وقال الاخر : « يدعن صوان الحصى ركوبا » اي مركوبا . طريق ركوب ، وطرق ركب. وقال اوس :

تضمنهـا وهـم ركـوب كانهـا
اذا ضم جنبيه المخـــارم رزدق

وهو الصف من الناس اذا انقطعوا ، وهو بالفارسية رزده » .

وصيغة فاعل ايضا ، قال (67) : « وقد جاءوا بفاعل في معنى مفعول ضدا ، قالوا : سر كاتم ، اي مكتوم، وامر عـارف، وما انت بحازم عقـل : اي محزوم عقل ، وهذه تطليقة بائنة : اي مبانة فيها . اخبرنا الثقة : ومثله قول الله جل وعلا : (لا عاصم اليوم من امر الله) كانه يريد لا معصوم ، و (هو في عيشة راضية) من ذلك اي مرضية ، وقد يجوز ان يكون المعنى في راضية لاهلها ...» . ويرى بعض النحويين ان العبارات تحتوي على فاعل مقدر بعد الصفات ، فالتقدير عنده سر كاتمه صاحبه او سامعه وامر عارفه الناس ... الخ .

ووافق اللغويون قطربا في عد هذا النوع من الاضداد ، وادخلوه في كتبهم . وتنبه بعضهم الى جمع الالفاظ المختلفة تحت صيغتي فعول وفعيل ، وفرقها بعضهم الاخر . فجمع قطرب معظم صيغ فعول وعقد لها عنوانا خاصا بها ، ولم يجمع صيغ فعيل. واتبعه في الامرين ابو حاتم ، حتى اشتركا في كثير من الالفاظ التي اوردها (154 – 163) . وجمع الاصمعي بعض صيغ فعول دون عنوان (87 – 91) واهمل صيغ فعيل . فاتبعه ابن السكيت .

واضاف ابو حاتم صيغة فعال ، التي تطلق على الفاعل والمفعول اليه. قال (68) : « التواب : التائب الفاعل . والتواب : الله تعالى . قال : (وان الله تواب حكيم) . وقال الله تعالى : (ان الله يحب التوابين) » .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان الاحداث التي تدل عليها هذه الالفاظ او اغلبها تحتاج الى الاشتراك ولا يمكن ان تقع لفرد واحد . فالتربية مثلا تحتاج الى من يقوم بها والى من تقع عليه ، والركوب يحتاج الى راكب ومركوب .. الخ .

4 – الالفاظ المشتركة المعنى المختلفة مظاهره ، مثل قول قطرب (69) : « اهنف الرجل اهنافا – بالنون والتاء : ضحك ضحكا رويدا . واهنف ايضا : بكى . ويقال : تهانف الرجل تهانفا : اذا ضحك ضحك تعجب » . وقال ابن الانباري : « تهانف معناه قال : ايها ايها في البكاء » . والواضح ان الاهناف هو الحركة والصوت اللذين يصدران من الباكي والضاحك ، فالمعنى واحد ، غير ان مظاهر مختلفة تتصل به . ومثله الماتم كما راينا .

ولم ينفرد قطرب بهذا النوع ، بل وجد عند غيره من اصحاب الاضداد . فقد اورد الاصمعي في كتابه الطرب ، التي مر بنا نقد ابن الانباري لها . ولم اجد عند ابي حاتم من هذا النوع الا ما نقله من قطرب وابي زيد . مثال ذلك قوله (70) :

« قال ابو زيد : طبخته : اذا شويته ، وكذلك اذا طبخته في القدر . قال : ويقال ، طبخته الشمس اي احرقته ، وطبختـه في التنـور : اي شويته ..» فالمراد بالطبخ الانضاج ، سواء اكان بالشي ام بالغلي في القدر ..

والغريب ان ابن الانباري الذي نقد كثيرا مما ذكره غيره ، وقع هو نفسه فيه ، ورضي عن كثير منه . ومن اغرب ذلك قوله (71) : « الصلاة من الاضداد . يقال للمصلي من مساجد المسلمين صلاة ، ويقال لكنيسة اليهود صلاة . قال الله عز وجل :

---

(66) 13 . واورده الاصمعي 90 ، وابو حاتم 154،وابن السكيت 362 ، وابن الانباري 239 وابو الطيب 306 ، وابن الدهان 17 ، والصغاني 481 .
(67) 33 – 44
(68) 196 . واورده ابن الانباري 338، وابو الطيب111 ، وابن الدهان 8 ، والصغاني ، 411 .
(69) 52 . واورده ابن الانباري 258 ، وابو الطيب 683 ، وابن الدهان 21 .
(70) 211 . واورده ابو الطيب 462 ، والصغاني 554 ، ووضعه ابن الانباري في اشباه الاضداد 185.
(71) 225 . وانظر 227 .

(يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) اراد لا تقربوا المصلى ، هذا تفسير ابي عبيدة وغيره. وقال عز ذكره : (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) والصلوات عني بها كنائس اليهود ، واحدتها صلاة ..» فالصلاة موضع صلاة الانسان ، مسلما كان او مسيحيا او يهوديا او غيرهم .

ويتمثل هذا النوع ايضا في اضداد ابي الطيب ، وابن الدهان ، والصغاني ، بسبب كونها تستهدف الجمع ، فهي تورد ما اوردته الكتب السابقة عليها . بل اضاف بعضها الفاظا جديدة لم ارها فيما بين يدي من كتب . ومثالها ما اورده الصغاني في قوله (72) : العجباء : التي يتعجب من حسنها ، والتي يتعجب من قبحها » . واللفظ غني عن التعليق، فالواجب ان يفسر بانه التي يتعجب منها ، سواء كان ذلك التعجب للحسن او القبح او غيرهما .

5 ـ المشترك المعنى المختلف المفهوم تبعا لاختلاف المتعلقات ، مثل قول قطرب (73) : «ومنه ايضا راغ عليهم : اتاهم . وراغ عنهم : ذهب عنهم وتنحى . وقال الله جل ثناؤه (فراغ عليهم ضربا باليمين) اي اقبل عليهم ضربا بالآلة .. » وقد نقد بعضهم قطربا على هذا اللفظ ، قال ابن الانباري : « قال الفراء : لا يقال لمن رجع : راغ ، الا ان يكون مخفيا رجوعه .. وقال غير الفراء : لا يكون راغ ابدا الا بمعنى رجع على السبيل الذى ذكر الفراء ، وليس بحرف من الاضداد على ما ادعى قطرب » . وواضح ان معنى راغ واحد ، وهو الحركة الخفية ، ثم يحدد الحرف الذى يوضع بعد الفعل اتجاه هذه الحركة. فاذا كان الى او على ، كانت الحركة اقبالا ومجيئا . واذا كان عن ، كانت الحركة ادبارا وابتعادا .

ولكن قطربا لم ينفرد بهذا النوع من الاضداد ، بل وجد عند غيره من المؤلفين في الاضداد . ومثاله عند الاصمعي ما جاء في قوله (74) : « وحكى ان الاقهام الجوع ، وانشد : ـ وهو الى الزاد شديد الاقهام ـ يقال : اقهم عن الطعام واقهى : اذا لم يشتهه . واورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الانباري وابن الدهان والصغاني ما ذكره سابقوهم من هذا النوع ، دون تعليق او نقد . واحسن من نقد هذا النوع هو عبد الفتاح بدوري في قوله : « جلي الا تفاد في شيء من الرغبة او الروغ او الانصراف (في قولنا رغبت فيه وعنه ورغت عليه وعنه وانصرفت اليه وعنه) انما الضدية بين معنى في وعن ، وعلى وعن ، والى وعن . وهذه الحروف الفاظ مختلفة ، ليست من الضدية التي نبحث عنها في شيء ، فاين اللفظ الذى له معنيان متقابلان ؟» .

6 ـ الالفاظ التي اختلفت في العدد الذى تدل عليه قال قطرب (75) : « وقالوا ايضا : الزوج ، الفرد ، يقال : عندي زوجان من خفاف اي خفان . والزوج : الزوج ايضا » . وعلق ابن الانباري (240) على ذلك بقوله : « وهذا عندي خطا ، لا يعرف الزوج في كلام العرب لاثنين ، انما يقال للاثنين زوجان . بهذا نزل كتاب الله ، وعليه اشعار العرب. قال الله عز وجل (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى) اراد بالزوجين الفردين ، اذ ترجم عنهما بذكر وانثى . وقال عز ذكره : (ثمانية ازواج من الضان اثنين ، ومن المعز اثنين) وكذلك ما بعدهما ، فالازواج معناهما الافراد لا غير . والعرب تفرد الزوج في باب الحيوان ، فيقولون : الرجل زوج المراة ، والمراة زوج الرجل ... فمن ادعى ان الزوج يقع على الاثنين فقد خالف كتاب الله جل وعز ، وجميع كلام العرب ، اذ لم يوجد فيما شاهد له ، ولا دليل على صحة تاوله » . واظن ان سبب هذا الخلط ، ان اللفظ لا يطلق على كل فرد وانما الفرد الذى لا بد من اقترانه بآخر . وعلى اي حال فاللفظ لا يحتوي على معنيين متضادين ، وانما اختلف الناس في العدد الدال عليه فحسب : واحد او اثنين ، وليس هذا بتضاد .

ووقع فيما وقع فيه قطرب من اللغويين ابو عبيدة ، قال ابن الانباري (76) : « ضعف حرف من الاضداد عند بعض اهل اللغة ، يكون ضعف الشيء

(72) 574 .
(73) 209 . واورده ابو الطيب 328 ، وابن الدهان 11 ، ونقده ابن الانباري 92 .
(74) 13 . ورواه قطرب 104 ، وابن السكيت 288، وابن الانباري 144 ، وابو الطيب 596 وابن الدهان 18 ، والصغاني 636 .
(75) 112 . واورده ابو الطيب 338 والصغاني 492 ونقده ابن الانباري 281 .
(76) 78 . واورده ابن الدهان 14 ، والصغاني 551 .

مثله ويكون مثليه . قال الله عز وجل (يضاعف لها العذاب ضعفين) قال ابو العباس ، عن الاثرم ، عن ابي عبيدة معناه يجعل العذاب ثلاثة اعدية ، قال : وضعف الشيء مثله ، وضعفاه مثلاه . وقال ابو عبد الله هشام بن معاوية : اذا قال الرجل : ان اعطيتني درهما فلك ضعفاه ، معناه فلك مثلاه قال : والعرب لا تفرد واحدهما ، انما تتكلم بهما بالتثنية . وقال غير هشام وابي عبيدة : يقع الضعف على المثلين . قال ابو بكر : وفي كلام الفراء دلالة على هذا » . وفي هذا القول مغالطة ، لان ضعف الشيء اما ان يراد الشيء معه فيصير الجميع مثلي الاول ، واما ان يراد وحده فيكون مثله فحسب .

وكذلك سار في طريقهما ابن الانباري ، اذ ارتضى قول الفراء (77) : « مثل حرف من الاضداد ، يقال : مثل ، للمشبه للشيء والمعادل له ، ويقال : مثل ، للضعف فيكون واقعا على المثلين . زعم الفراء : انه يقال رايتكم مثلكم . يراد به رايتكم ضعفكم ، ورايتكم مثليكم يراد به رايتكم ضعيفكم . من هذا قول الله عز وجل : (يرونهم مثليهم راي العين) معناه يرى المسلمون اي ثلاثة امثالهم ، لان المسلمين كانوا يوم بدر ثلاث مئة واربعة عشر رجلا ، وكان المشركون تسع مئة وخمسين رجلا . فكان المسلمون يرون المشركين على عددهم ثلاثة امثالهم » وفي هذا القول ما في اللفظ السابق من خطأ في الشرح .

ويقرب من هذا الضمير (نحن) ، الذي ادخله ابن الانباري في اشباه الاضداد قال (78) : « ومما يشبه حروف الاضداد نحن ، يقع على الواحد والاثنين والجميع والمؤنث فيقول الواحد : نحن فعلنا . وكذلك يقول الاثنان والجميع والمؤنث . والاصل في هذا ان يقول الرئيس الذي له اتباع يغضبون بغضبه، ويرضون برضاه ، ويقتدون بافعاله : امرنا ونهينا ، وغضبنا ورضينا ، لعلمه بانه اذا فعل شيئا فعلنه اتباعه . ولهذه العلة قال الله جل ذكره : ارسلنا ، وخلقنا . ثم كثر استعمال العرب لهذا الجمع حتى صار الواحد من عامة الناس يقول وحده : قمنا وقعدنا ، والاصل ذاك » .

ومهما يكن ، فليس هذا النوع من الاضداد ، واسوتنا في ذلك من اهمله من اللغويين امثال الاصمعي وابي حاتم وابن السكيت وابي الطيب ..

7 ـ الاضداد من اللغات . قال قطرب (79) : « المعصر ـ في لغة قيس واسد ـ التي قد دنت من الحيض . واعصرت المراة اعصارا . وقد دنا اعصارها. وبلغة الازد : التي قد ولدت او تعنست » . وسار على هذا المسلك جميع المؤلفين في الاضداد ، وان عارضهم بعض اصحاب المعاجم مثل ابن دريد . ومثال هذا النوع عند الاصمعي قوله(80): في المادة الاولى من كتابه : « القرء عند اهل الحجاز الطهر ، وعند اهل العراق الحيض .. » . وفي اضداده ايضا (81) : « قال ابو زيد : السدفة في لغة تميم الظلمة ، وفي لغة قيس الضوء . قال ابن مقبل :

وليلة قد جعلت الصبح موعدها
بصدرة العنس حتى تعرف السدفا

اي اسير حتى الصبح فترى ضوء الصبح . وقال العجاج : « ـ واقطع الليل اذا ما اسدفا ـ اي اظلم » . وقال ابو حاتم (82) : « العنوة : القهر . واهل الحجاز يقولون الطاعة . يقال : اخذته عنوة اي قهرا ، وقال اهل الحجاز طاعة ، وانشدوا :

هل انت مطيعي ايها القلب عنوة
ولم تلح نفس لم تلم في احتيالها

وقال كثير :

---

(77) 79 . واورده ابن الدهان 19 ، والصغاني 657 .
(78) 113 . واورده ابن الدهان 20 .
(79) 101 . واورده ابن الانباري 136 وابو الطيب 509 وابن الدهان 15 والصغاني 584 .
(80) واورده قطرب 99 ، وابو حاتم 134 ، وابن السكيت 276 ، وابن الانباري 8 ، وابو الطيب 571 ، وابن الدهان 17 ، والصغاني 620 .
(81) 43 . واورده قطرب 5 ، وابو حاتم 114 ، وابن السكيت 316 ، وابن الانباري 564 ، وابو الطيب 346 ، وابن الدهان 12 ، والصغاني 500 .
(82) 185 . واورده قطرب 173 ، وابن الانباري 42 ، وابو الطيب 491 وابن الدهان 15 .

تجنبت ليلى عنوة ان تزورها
وانت امرؤ في اهل ودك تارك

اي طائعا » . وكل ما ذكره السالفون من اضداد اللغات نجده عند اللاحقين منهم مثل ابن السكيت وابن الانباري وابو الطيب وابن الدهان والصغاني .

8 ـ الفاظ التثنية التي لا تفرد . قال قطرب (83) : « الصرعان : ناحيتا النهار ، اي اوله وءاخره. ومنه مصراعا الباب يلمان ايضا . ضدان . ذلك لاول النهار وءاخره » . وتابعه في هذا ابن الدهان وحده. واعترض عليه ابن الانباري قائلا : « وقال غيره : الصرعان الغداة والعشي جميعا ، ولا يقع على واحد منهما دون صاحبه . وكذلك القرنان والبردان كما يقال لليل والنهار : الملوان ، والفتيان ، والردفان ، والعصران ، والجديدان ، والاجدان ، وابناسبات » . وافغله غيرهما ، مما يدل على ان القدماء انفسهم لم يرضوا عن هذا النوع .

9 ـ المشترك من الالفاظ دون ان يتضاد . ومثاله ما اوردته ءانفا من جمرت الشعر ، وللمراة جماران . ونقد ابن الانباري له . وبرغم ذلك لم يبرأ بعض اللغويين من الخلط بين الالفاظ ذات المعاني المتضادة والالفاظ ذات المعاني المختلفة فقط، كما فعل قطرب فهذا هو الاموي يقول (84) : « نار غاضية : اي عظيمة . وليلة غاضية : شديدة الظلمة » . والتضاد غير واضح فيه ، الا اذا فهمنا ان الغاضية هي النار الشديدة الاضاءة .

ووردت في اضداد الاصمعي كلمتان لا تمتان الى الاضداد ، هما ضنين وظنين ، قيل (85) : « واما قوله : « وما هو على الغيب بضنين » و « بظنين » فهما وجهان معروفان . فالضنين البخيل ، يقال : ضننت اضن ضنا . والظنين المتهم ، وهو من الظنة اي التهمة ..» فهما اقرب الى كتب الابدال منهما الى كتب الاضداد . ولذلك لم يوردهما احد ممن جاء بعده .

وورد في اضداد الاصمعي تفسير عارض للفظ الانقياص ، اذ قيل في مادة (قلص) (86) : « ويقال قد قلص الظل : اذا قصر ... وقلص ماء البئر : اذا جم وكثر . قال الراجز :

يا ربها من بارد قلاص
قد جم حتى هم بانقياص

والانقياص : ان تنشق الركية طولا او السن ، قال ابو ذؤيب الهذلي :

فراق كقيص السن فالصبر انه
لكل اناث عثرة وجبور »

وسها ابن السكيت في غمرة تتبعه لالفاظ الاصمعي، فالتقط اللفظ ، وخصص له مكانا بين اضداده ، بعد مادة قلص . ولكن احدا غيره لم يقع في هذا السهو ..

10 ـ الالفاظ المختلف في تفسيرها . قال ابن الانباري (87) : « فوق حرف من الاضداد ، يكون بمعنى اعظم كقولك : هذا فوق فلان في العلم والشجاعة ، اذا كان الذي فيه منهما يزيد على ما في الاخر ، ويكون فوق بمعنى دون قولك : ان فلانا لقصير وفوق القصير ، وانه لقليل وفوق القليل ، وانه لاحمق وفوق الاحمق ، اي هو دون المذموم باستحقاقه الزيادة من الذم . ومن هذا المعنى قول الله عز وجل (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) يقال : معنى قوله : « فما فوقها » : فما دونها .

ويقال : معناه فما هو اعظم منها . وقال الفراء: الاختيار ان تكون فوق في هذه الآية بمعنى اعظم ، لان البعوضة نهاية في الصغر ، ولم يدفع المعنى الاخر ولا رءاه خطا وقال قطرب : فوق تكون بمعنى دون مع

---

(83) 106 ، وابن الدهان 14 ، وابن الانباري 127.
(84) الاصمعي 62 ، وابن السكيت 336 ، وابن الانباري 209 ، وابن الدهان 16 ، والصغاني 559 ، وابو الطيب 524 .
(85) 109 .
(86) 11 ، وابن السكيت 286 .
(87) 153 . واورده ابو حاتم 178 ، وابو الطيب 536 ، وابن الدهان 17، والصغاني 616 ، وانظر قطربا 163 .

الوصف كقول العرب : انه لقليل وفوق القليل ، ولا تكون بمعنى دون مع الاسماء كقول العرب : هذه نملة وفوق النملة ، وهذا حمار وفوق الحمار قال : لا يجوز ان تكون فوق في هاتين المسألتين بمعنى دون لانه لم يتقدمه وصف ، وانما تقدمته النملة والحمار وهما اسمان ... » .

وهذا التعليل لجعل «فوق» من الاضداد خاطىء، فهذا اللفظ لا يكون بمعنى « دون » ابدا . وعبارة انه لاحمق وفوق الاحمق ، اي يزيد عنه حمقا ، لا دونه حمقا . فالمتكلم بهذه العبارة يريد منها المبالغة في وصفه بالحمق لا التقليل وكذا حال « فوق » مع جميع الصفات . اما مع الاسماء فاختلف فيها ، ولكننا نقول ايضا انها بمعنى « اعظم » لا غير . فمعنى الآية « ان الله عز وجل لا يستحيي ان يضرب الامثال بالبعوضة، وما هو اكبر منها حجما من الحشرات والحيوان ، مثل الذباب والطير والكلب والحمار ، التي استمد منها الامثلة في الآيات المختلفة . فاذا كان يقصد من البعوضة الضآلة والصغر ، فالمعنى انه سبحانه وتعالى لا يستحيي ان يضرب الامثال بالبعوضة وما هو اعظم منها صغرا وضآلة شان . فالتفسيران يبينان ان « فوق » لم تخرج عن معناها الاصلي ، وهو « اعظم » .

ونلحق بهذا النوع قول قطرب الذي يثير منا ابتسامة (88) : قالوا : ليال درع : سود الصدور وبيض الاعجاز ، وليال درع : بيض الصدور وسود الاعجاز ، وشاة درعاء يا هذا : بيضاء المؤخر سوداء المقدم ، وشاة درعاء - سوداء المؤخر بيضاء المقدم » وقال ابن الانباري معلقا « وتابع قطربا على هذا جماعة من البصريين » .

فماذا كان يضيره لو فسر الليلة الدرعاء والشاة الدرعاء كما فعل عبد الفتاح بدوي بما اختلط بياضها وسوادها كانها تلبس درعا ، دون اشارة الى المقدمة والمؤخرة فاستراح من عدها في الاضداد . وما اكثر الاضداد التي من هذا النوع .

11 - الافعال ذات الدلالة الزمنية المختلفة ، قال قطرب (89) : « وقالوا فعل : لما وقع ، وفعل : لما لم يقع . وفي التفسير (منع منا الكيل) . اي بمنع منا . و (نادى اصحاب النار) اي ينادون . وقال الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه
ان الوليد احق بالعذر

يريد : يشهد ، لانه قال : حين يلقي ربه ، ولم يلقه بعد .

« ويكون ايضا يفعل : لما وقع ، ولما لم يقع ، مثل قوله :

ولقد امر على اللئيم يسبني
فمضيت عنه وقلت لا يعنيني

كانه قال : ولقد مررت ، لانه قال : فمضيت عنه . وقال الآخر :

واني لآتيكم تشكر ما مضى
من الامر واستيجاب ما كان في غد

اي ما يكون في غد .. » .

وقال ايضا (90) : « ومن الاضداد - وهي آخره (يريد آخر الكتاب) - : اذ في القرآن لما مضى في معنى اذا ، واذ لما يستقبل ويجيء ايضا في معناها. وقال الله عز وجل (ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت) و (لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) المعنى يفزعون اذا ، ويوقفون ولم يوقفوا بعد . وقال ايضا : (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم) وكان القول يكون في القيامة . فهذا لما لم يقع . وقال ابو النجم :

ثم جزاه الله عنا اذ جزى
جنات عدن في العلالي العلى

كانه قال : اذ يجزي ، لان هذا لم يقع بعد ... وقال اوس :

والحافظ الناس في الزمان اذا
لم يرسلوا تحت عائذ ربعا

وهبت الشمال البليل واذ
بات كميع الفتاة ملتفعا

---

(88) 142 . واورده ابو حاتم 132 ، وابن الانباري 165 ، وابو الطيب 271 . وابن الدهان 10 ، والصغاني 465 .
(89) 121 .
(90) 218 .

فقال : اذ واذا في معنى واحد ...» .

وارتضى ابو عبيدة هذا النوع من الاضداد ، وادخله في كتابه . قال ابن الانباري (91) : « قال أبو عبيدة : كان من الاضداد ، يقال : كان للماضي ، وكان للمستقبل . فاما كونها للماضي فلا يحتاج لها الى شاهد ، واما كونها للمستقبل فقول الشاعر :

فادركت من قد كان قبلي ولم ادع
لمن كان بعدي في القصائد مصنعا

اراد لمن يكون بعدي . قال وتكون كان زائدة ، كقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) معناه والله غفور رحيم .

« قال ابو عبيدة : ويكون من الاضداد ايضا ، يقال : يكون للمستقبل ، يقال : يكون للماضي . فكونه للمستقبل لا يحتاج الى شاهد ، وكونه للماضي قول الصلتان يرثي المغيرة بن المهلب :

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا
والباكرين وللمجد الرائح

ان السماحة والشجاعة ضمنا
قبرا بمرو على الطريق الواضح

فاذا مررت بقبره فاعقر به
كوم الجلاد وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها
فلقد يكون اخادم وذبائح

اراد : فلقد كان .

« قال ابو بكر : والذى نذهب اليه ان « كان ويكون » لا يجوز ان يكونا على خلاف ظاهرهما ، الا اذا وضح المعنى . فلا يجوز لقائل ان يقول : كان عبد الله قائما ، بمعنى يكون عبد الله . وكذلك محال ان يقول : يكون عبد الله قائما ، بمعنى كان عبد الله . لان هذا ما لا يفهم ، ولا يقوم عليه دليل . فاذا انكشف المعنى حمل احد الفعلين على الآخر ، كقوله جل اسمه (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) معناه : من يكون في المهد فكيف نكلمه ، فصلح الماضي في موضع المستقبل لبيان معناه . وانشد الفراء :

فمن كان لا ياتيك الا لحاجة
يروح لها حتى تقضى ويغتدي

فاني لآتيكم تشكر ما مضى
من الامر واستيجاب ما كان في غد

اراد ما يكون في غد . وقال الله عز ذكره (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار) فمعناه : وينادى ، لان المعنى مفهوم . وقال جل وعز : (يا ابانا منع منا الكيل) فقال بعض الناس : معناه يمنع منا . وقال الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه
ان الوليد احق بالعذر

معناه : يشهد الحطيئة . وقول ابي عبيدة : كان زائدة في قوله تبارك وتعالى : (وكان الله غفورا رحيما) ليس بصحيح ، لانها لا تلغي مبتداة ناصبة للخبر ، وانما التاويل المبتدأ عند الفراء ، « وكائن الله غفورا رحيما » فصلح الماضي في موضع الدائم ، لان افعال الله جل وعز تخالف افعال العباد ، فافعال العباد تنقطع ، ورحمة الله جل وعز لا تنقطع وكذلك مغفرته وعلمه وحكمته . وقال غير الفراء : كان القوم شاهدوا الله مغفرة ورحمة وعلما وحكمة ، فقال الله جل وعز : وكان الله غفورا رحيما) اي لم يزل الله عز وجل على ما شاهدتم » (92) .

ويرى الباحثون البلاغيون ان هذه الافعال لم تخرج عن زمنها ، سواء ادلت على الماضي ام على المضارع ، فهي مختلفة بمعناها الاصيل . وانما استعمال المضارع في الماضي التفات ذهني ، كي يبرز القائل الصور والاحداث الماضية ، ويجلبها تحت سمع السامع والقارىء وبصرهما ، وكانها تحدث في الحاضر ، لتكون اشد تاثيرا فيه ، وانطباعا في ذهنه . واستعمال الماضي في الزمن الحاضر التفات ذهني ، كي يبرر القائل تاكده من حدوث هذه الافعال في المستقبل ، وتيقنه من ذلك ، وكانما قد وقعت حقا وانتهى الامر . اما استعمال الافعال الماضية والمضارعة في غير زمنها في بعض الشعر لغير غرض بلاغي ، فانما هو امر فرضته ـ في غالب الظن ـ الضرورة ، وليس بالتوسع اللغوي ولا الاضداد .

(91) 28 ـ 69 .
(92) أورده ابو حاتم 198 ، وابن الدهان 18 ، والصغاني 646 .

12 ـ عبارات التفاؤل والتطير ، قال قطرب (93) : ومنه ايضا : رجل اعور : للذاهب العين ، ورجل اعور : للحديد البصر . ويقال غراب اعور ، لحدة بصره ، وقال الشاعر : ـ في الدار تحجال الغراب الاعور ـ » وقال (94) : « وقالوا : البصير : الصحيح البصر ، والبصير : الاعمى . والادم : الابيض ، والظبية الادماء : البيضاء . وآدم : اسود . وبعير آدم : حسن البياض شديد سواد المقلتين » .

ووجد هذا النوع عند مؤلفي الاضداد جميعا ، وعند غيرهم . قيل في اضداد الاصمعي (95) : « قال ابو زيد : الناهل في كلام العرب : العطشان ، والناهل : الذي قد شرب حتى روي ، قال النابغة :

الطاعن الطعنة يوم الوغى
ينهل منها الاسل الناهل

اي يروى منها العطشان. وقال الاصمعي : الانثى ناهلة ، والجميع نهال ، ورجل منهل : اي معطش ، وابل نهال : اي عطاش ، يتطيرون بها من العطش فيقولون : هذه ابل ناهلة .. » .

وقال الاصمعي (96) : « سموا المفازة مفعلة من فاز يفوز : اذا نجا ، وهي مهلكة ، قال الله جل ثناؤه : (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب)اي منجاة. واصل المفازة مهلكة ، فتفاءلوا بالسلامة والفوز ، كقولهم للملدوغ سليم ، والسليم : المعافى » .

واضاف ابا عبيدة عبارات التطير ، اذ قيل في اضداد الاصمعي (97) : « قال ابو عبيدة يقال : فرسي شوهاء . اي حسنة ، ولا يقال للذكر هذا شيء . ويقال : لا تشوه علي، اي لا تقل: ما افصحك، فتصيبني بالعين . قال : وما سمعتها الا في هذين الحرفين ، واما القبح فيقال : قد شوه الله خلقه ، ورجل اشوه ، وامرأة شوهاء ، قال الحطيئة :

ارى ثم وجها شوه الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

وقال ابو دواد يذكر فرسا :

فهي شوهاء كالخوالق فوها
مستجاف يضل فيه الشكيم »

واورد ابو حاتم وغيره هذا اللفظ ايضا، وفسره الاول تفسيرا واضحا ، اذ قال : « قال ابو عبيدة : مهرة شوهاء : قبيحة وجميلة . قال ابو حاتم : لا اظنهم قالوا للجميلة : شوهاء الا مخافة ان تصيبها عين ، كما قالوا للغراب : اعور لحدة بصره » .

وهذا النوع من التعبير ليس من الاضداد ايضا ، لان قائله يريد ان يوهم السامع بحقيقة اللفظ لا ضده ، او يوهم نفسه ايضا ، فهو حين يصف الملدوغ بالسليم يريد ان يوهم نفسه وسامعيه بانه سليم معافى ولا خوف عليه . ولا يريد باي حال من الاحوال ان يتصوره ملدوغا متالما . وكذا الحال في بقية الالفاظ . وقد نقد عبد الفتاح بدوي هذا النوع فقال عنه : « اذا طبقنا بسائط علوم اللغة على امثلة هذه الطائفة وجدنا المعنى الثاني مجازيا للكلمة ، والاول هو المعنى الحقيقي ليس غير ، ومعنى الضدية لا يتحقق بين الحقيقة والمجاز لانهما لا يتساويان في فهمهما من الكلمة ، وانما الذي يفهم هو المعنى الحقيقي فقط ، ولا يفهم المعنى الثاني الا بقرينته ، وبالانتقال من المعنى الاول حتما ، فيفوت معنى الضدية .

13 ـ صيغة افعل قال قطرب (98) : « ومنه ايضا شكاني فلان فاشكيته : اذا شكاك فاعتنته ، وقد يقولون ايضا : فاشتكيته ، اي زدته شكوى . ويقال : شكا الي ما لقي فما اشكيته اشكاء ، وقال الراجز :

---

(93) 75 . وانظر ابن الانباري 269 ، وابا الطيب 508 ، وابن الدهان 16 .
(94) 76 ، 17 . وانظر ابا الطيب 63 ، 12 ، وابن الدهان 7 .
(95) 45 . واورده قطرب 55 ، وابو حاتم 135 ، وابن السكيت 318 ، وابن الانباري 65 ، وابو الطيب 637 ، وابن الدهان 20 ، والصغاني 680.
(96) 38 . واورده ابن السكيت 319 ، وابن الانباري 59 وابو الطيب 560 والصغاني 615 .
(97) واورده ابو حاتم 220 ، وابن الانباري 181 ، وابو الطيب 408 ، وابن الدهان 13 .
(98) 201 . واورده ابو حاتم 147 ، وابن السكيت 365 ، وابن الانباري 140 ، وابو الطيب 390 ، وابن الدهان 13 ، والصغاني 526 .

تمـــد بالاعنـــاق او تلويهـــا
وتشتكـــي لو اننـــا نشكيـــهـــا »

وارتضى الاصمعي هذا النوع ، وادخلـه في الاضداد ، قال (99) : « اطلبت الرجل : اعطيتـه ما طلب ، واطلبته : الجاته الى ان يطلب ، ومنه قول ذي الرمة :

اضلـه راعيـا كلبيـة صـــدرا
عن مطلب وطلى للاعناق تضطرب

يقول : بعد الماء منهم حتى الجاهم الى طلبه ، ويروى : ــ عن مطلب قارب وراده عصب ــ .

« ويقال : اشكيت الرجل : اذا اتيت اليه ما يشكو منه ، واشكيته : نزعت شكايته .

قال الراجز :

تمـــد بالاعنـــاق او تلويـــهـا
وتشتكـــي لو اننـــا نشكيهـــا »

والامر في هذا النوع يسـير ايضـا ، فالمعنى الاصلي فيـها التعديـة ، قـال الرضـى (100) : « المعنى الغالب في افعل تعديـة ما كان ثلاثيـا » ، فالمعنى الاصيل لاطنب واشكى جعله يطلب ويشكو . ولكن هذا الطالب ، وهذه الشكوى ، كانا سببا فـي الاستجابة ، اي ازالة اسباب الطلب والشكـوى . فارتبط السبب (الشكوى) والسبب (ازالتها) في ذهن العربي ، فربط بينهما في لغته ، واطلق عليهما لفظا واحدا . ولكن هذا اللفظ كان حقيقيا حيـن اطلقه على السبب ، وكان مجازيا حين اطلقـه على المسبب ..

14 ــ صيغة تفعل ، قـال قطـرب (101) : «ويقال : تاثم فلان : كره الاثم ، وهو من لفظ الاثم ، وحرج ايضا يحرج : اثم » .

وقال ابن الانباري (102) : « وتاثم حرف من الاضداد ، يقال قد تاثم الرجل اذا اتى ما فيه المأثم ، وتاثم : اذا تجنب المأثم ، كما يقال : قد تحوب الرجل ، اذا تجنب الحوب ، ولا يستعمل الحوب في المعنـى الآخر .. » وقال ايضا تحنث حزف من الاضـداد ؛ يقال : تحنث الرجل : اذا اتى الحنث ، وقد تحنث اذا تجنب الحنث ... » .

وقال الرضى 103 : « والاغلب في تفعل معنى صيرورة الشيء ذا اصله ، كتاهل وتالم .. اي صار ذا اهل ، والم ... فيكون مطاوع فعل الذي هـو لجعل الشيء ذا اصله اما حقيقة كما في البته فتالب واصلته وتاصل ، واما تقديرا كما في تاهل ، اذ لـم يستعمل اهل بمعنى جعل ذا اهل » . ومن الطبيعي ان هذه الصيغة تاتي من الافعال التي تصلح فيهـا المطاوعة ..

وقال الرضى ايضـا (104) ان تفعـل تاتـي للتكلف نحو تشجع وتحـلم ، وما هو بشجـاع ولا حليم . اي الصفة منتفية عنه مسلوبة منه، وللاتخاذ، ويشترط ان يكون اصل الصيغة اسما لا مصدرا مثل تردى وتوسد من الـرداء والوسادة . فهـذا المعنـى ياتي من الاشياء المادية لا المجردة . وتاتي ايضا للعمل المتكرر في مهلة نحو تجرع وتفهم . وكذلك بمعنـى استفعل في الطلب ، والاعتقاد في الشيء انه علـى صفة اصله ، نحو تنجزته واستعظمته ، ومن الواضح ان الفعل فيهما متعد لا لازم ، واخيرا تاتي للتجنب.

ولو وضعنا هذه المعاني المختلفة لصيغة «تفعل» بجوار معنى التجنب ، لظهر لنا الفـرق الجـلي . فالصيغة فيها جميعا ــ ماعدا التكلف ــ متعـدية لا لازمة ، بخلاف الحال في معنى التجنب . فالاختلاط والتشابه اذن بين التكلف والتجنب . والاثنان يفيدان السلب كما راينا ، لان متكلف الشيء يشعـر بعـدم وجوده فيه ، ولذلك يتكلفه . ولكن هناك امرا ذاتيا فيهما يفرق بينهما : ذلك هو الاصل المشتقة منـه الصيغة . فاذا كان الاصل مكروها فالصيغة للتجنب ، مثل تاثم وتحوب . واذا كان الاصل محبوبا فالصيغة

(99) 92 . واورده ابو حاتم 179 ، وابن السكيت 364 ، وابـن الانبـاري 48 ، وابو الطيـب 457 ، والصغاني 561 .
(100) شرح الشافية 1 ــ 86 .
(101) 90 .
(102) 105 . وانظر ابا الطيب 17 ، وابن الدهان 6 ، وابا حاتم 231 .
(103) 111 . واورده ابن السكيت 445 ، وابن الدهان 9 .
(104) شرح الشافية 1 : 104 ــ 107.

للتكلف والتظاهر مثل تكرم وتحلم وتشجع . ويؤكد لنا ذلك ان الالفاظ الستة التي قيل انها تأتي للتجنب ماخوذة من امور مستكرهة ، وهي : تحنث ، تأثم ، تحرج ، تحوب ، تنجس ، تهجد ، والهجود مستكره للاتقياء الذين يجمل بهم ان يقضوا الليل في العبادة وذكر الله ، ومن هنا وصفته بالاستكـــراه (105) ولما كان العرب يستعملون هذه الصيغة في احد المعاني كانوا يحرمون استعمالهـا في غيـره الا اذا كان لا يلتبس به ، ولذلـك قال الرضي (106) : « ليست هذه الزيادات قياسا مطردا ، فليس لك ان تقول في ظرف : أظرف ، وفي نصر : أنصـر ... وكذا لا تقول : نصر ولا دخل . وكذا في غيـر ذلـك مـن الابواب ، بل يحتاج في كل باب الى سماع استعمال اللفظ المعين ، وكذا استعماله في المعنى المعيـن ، فكما ان لفظ اذهب وادخل يحتاج فيه الى السماع فكذا معناه الذي هو النقـل مثلا ، فليـس لك ان تستعمل اذهب بمعنى ازال الذهـــاب ، أو عـرض للذهاب ، او نحو ذلك » . ويدلنا على ذلك انهم لـم يرووا لنا شواهد على استعمال هذه الالفاظ في غير التجنب . وصرح ابن الانباري بان تحوب للتجنب وحده .

15 ـ الصيغ المتشابهة في ظاهرها المتضـادة المعاني وفقا لاختلاف تصريفها واصلها .

قال قطرب (107) : « ومنه ايضا اردات الرجل: اعنته واردبته ، وقول الله جل ثناؤه (ردءا يصدقني) وقالوا ايضا : اردبته : اعنته ، واردبته : اهلكتـه » واظهر امثلة من هذا النوع صيغة اسمي الفاعل من « افتعل » و « انفعل » من الاجوف والمضاعـف . وقد زاد هذه الفئة ابو حاتم في اضداده ، قال (108): «ما كان من المعتل من بنات الياء والواو التي في موضع العين ، او من المضاعف على مفتعل ومفتعل ، لفظهما فيه سواء، كقولك : مختار ، للفاعل والمفعول به ، اخترت عبد الله من الرجال فانا مختاره وهو مختار، وكذلك المودان من الزين ، والمعتاض ، والمقتال والمعتد، الفاعل والمفعول به ، يقال : اعتد فـلان شيئـا ، فالرجل معتد ، والشيء معتد. وكذلك المنقاد، تقول : انقدت لك ، فانا منقاد (لك) ، وانت منقاد لك . والاصل : انا منقود لك ، وانت منقود لك . قال ابو حاتم : « والاصل في المختار اذا كان فاعلا : مختير، فكرهوا حركة الياء فاسكنوها ، ثم قلبوها الفا للفتحة قبلها . واما مختار مفتعل ، فالاصل : مختير ، الياء مفتوحة فكرهوا حركتهافاسكنوها ثم قلبوهـا الفا . وكذلك مكتال ، لانه من بنات الياء ، من كال يكيل ، فكرهوا حركة الياء فاسكنوها ، ثم قلبوها الفا لانفتاح ما قبلها . ومعتد ، اصلها معتدد ، بالكسر للفاعل، ومعتدد ، بالفتح للمفعول به ، فتحركت الـدالان ، فاسكنوا الاولى ثم ادغموها في الثانيـة فاستـوت اللفظتان » .

ورضي التوزي وابن الدهـان عن هذا النـوع فادخلاه في اضدادهما ، ولكنه لم يحظ بمثل هـذا القبول عند غيرهما ، فنقده ابو الطيب ـ كما رأينا ـ نقدا مرا ، ونفاه من الاضداد واكتفى غيره باهماله . وكشف عبد الفتاح بدوي عن رأيه في هذا النـوع في قوله : « ولا جرم ان دعوى التضاد في هذه الطائفة انما هو اعتبار للنغمة الصوتية فقط ، مع تناسـي حقيقة الكلمة ومقياسها فمختار الذي اصله مختيـر بكسر الياء لا يمكن ان يقال انه مختار الذي اصله مختيـر بفتحها . ومن ثم تكمن دعوى التضـاد في هذه الطائفة اشبه بالهذر منها بالحقائق العلمية ، لان التضاد انما يتصل بالمعاني لا بالانغام » .

ونسي هذا الكاتب ان التضاد يقوم على الانغام (اصوات الكلمات) ومعانيها في نفس الوقت ، وانه لو فرق بين الاثنين ما وجدت الاضداد ، وما وجـد بحث فيها . ونسي ان الصرفيين عندما يقولـون ان مختار اصلها مختير بكسر الياء اذا كانت اسم فاعل، او بفتحها اذا كانت اسم مفعول ، فكرهت حركة الياء فحذفت ، وقلبت الياء الفا ، لا يريـدون بذلـك ان العرب نطقوا بها ـ اول ما نطقوا ـ بالياء المحركة ، ثم مر عليهم طور نطقوا فيه بالياء الساكنة ، ثم في الاطوار الاخيرة بالالف . فحسبهم اللغوي ، وذوقهم اصوات الالفاظ ، جعلاهم يستعملون اللفظ بالالف منذ الوهلة الاولى ، لانهم لم يستحسنوا غيرها ، حتى قبل وجوده . اما الصرفيون فيفترضون انه لو كانت اللفظة في اصلها على هذا البناء ، لاستمر بها

---

(105) انظر تاج العروس : حنث .
(106) شرح الشافية 1 ـ 84 .
(107) 185 .
(108) 175 .

التغيير الى ما صارت عليه . فكأنما اقام الكاتب رده على افتراضات . واعتبرها حقائق علمية ، فانهار نقده ، ولم يستطع الوقوف على قدميه . فالصيغتان في الحقيقة والواقع لا فرق بينهما ، ولم يكن يوجد فرق صوتي بينهما فقط ..

ولكننا ـ برغم انهيار نقده ـ لا نستطيع ان نلحق بهذا النوع من الالفاظ معنيين متضادين وانما نقول ان فيها تضادا في اتجاه المعنى ، لا المعنى نفسه . فهو مرة متجه الى الفاعل ، واخرى الى المفعول ، ولكنه هو هو في المرتين . فالاختيار لم يتغير ، وانما اتجه القائل ذات مرة الى فاعل هذا الحدث ، واتجه في المرة الثانية الى الذي وقع عليه الحدث . تلك هي الانواع التي اطلق عليها قطرب لفظ الاضداد ، وادخلها في كتابه . وقد ارتضاها اكثر المؤلفين كما رأينا ـ وزادوا عليها انواعا اخرى، فنتتبعها في كلامنا التالي ..

16 ـ الاضداد المجازية ، اي التي احد معنييها حقيقي ، والآخر مجازي . ويتمثل هذا النوع في صنفين من المجاز :

ا) فالصنف الاول : الالفاظ التي تطلق على الاناء وما فيه . وظهر هذا الصنف عند ابي عمرو بن العلاء . قيل في اضداد الاصمعي (109) : « قال ابو عمرو : الارة : النار ، والارة : الحفرة التي فيها النار » . ووجد عند ابي زيد ، قيل في اضداد الاصمعي (110) « الظعينة : المراة على البعير ، ويجوز أن تكون في بيتها . قال ابو زيد : الظعائن : الهوادج ، وانما سميت النساء ظعائن لانهن يكن فيها » . وارتضى ابو عبيدة هذا الصنف ، قيل في اضداد الاصمعي (111) : « قال ابو عبيدة : الكأس : الاناء الذي يشرب فيه، والكأس: ما فيه من الشراب» وسار على ذلك الاصمعي ، وروى في اضداده (112):

« ويقال ناقة ثني : اذا ولدت بطنين ، وثنيها : ما في بطنها ..

وسار المتاخرون على هذا النهج ، الذي اختطه الرعيل الاول من اللغويين ، فاورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الدهان والصغاني ما اورده السابقون عليهم من امثلة هذا الصنف من الاضداد . واورد ابو حاتم مثالا لم يورده من قبله ، قال (113) « المجمر : العود الذي يدخن به . والمحجر ايضا : الذي يوضع فيه الدخنة ، ومنه قول ابن احمر :

لم يعد ان فتق الشجاع لهاته
وافتر قارحه كلز المجمر

اراد انه اول ما بزل، فقارحه مثل الحديدة التي يازرها المجمر مثل الشعيرة او اصغر » .

ونستطيع ان نضع في هذا الصنف امثال ما جاء في اضداد الاصمعي (114) : « الراوية : البعير الذي يستقى عليه الماء ، يقال : رويت عليه اروى رية : اذا استقيت عليه ، وبه سميت الراوية التي عليه ، وانما هي المزادة ، قال ابو النجم :

تمشي من الردة مشي الحفل
مشي الروايا بالمزاد الاثقل

يقال : اردت الناقة ، وذلك اذا كانت عطشى ثم رويت فعطنت ، فينفتح ضرعها حتى تحسب انها حامل . »

وجعل عبد الفتاح بدوي هذا النوع والفاظ التفاؤل والتطير طائفة واحدة ، ووجه اليها النقد الذي ذكرته انفا . والحق ان المعنى لم يتغير ولم يتضاد في اي لفظ منها . وانما كان من سنن العرب اطلاق اللفظ الواحد على الشيء وما يلازمه ، لاتجاه الذهن الى الاثنين معا كلما ذكر احدهما . فكان اللفظ في اصالته يدل على احد المعنيين ثم انتقل مجازا

(109) 64 . واورده ابن السكيت 338 وابن الانباري 208 والصغاني 373 .
(110) 68 . واورده ابن السكيت 342 وابن الانباري 100 وابن الدهان 15 والصغاني 566 .
(111) 67 . واورده ابن السكيت 341 وابن الدهان 18 والصغاني 639 وجعله ابن الانباري من اشباه الاضداد.
(112) 65 . واورده ابن السكيت 339 وابن الانباري 211 وابو الطيب 119 وابن الدهان 8 والصغاني 416 .
(113) 273 . واورده ابن الدهان 8 .
(114) 69 . واورده ابن السكيت 343 وابن الانباري 101 وابن الدهان 11.

الى المعنى الثاني لما بينهما من تلازم في الواقع والذهن .

(ب) لفظ امة ، الذى زاده ابن الانباري ، اذ قال (115 : « الامة حرف من الاضداد يقال : الامة للواحد الصالح الذى يؤتم به ، ويكون علما في الخير ، كقوله عز وجل : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا) . ويقال : الامة للجماعة ، كقوله عز وجل : (وجد عليه امة من الناس يسقون). ويقال : الامة ايضا للواحد المنفرد بالدين..».

وواضح ان عد هذا اللفظ من الاضداد فيه تعسف . فالمعنى لم يتضاد في اطلاق اللفظ على المفرد او الجماعة . بل اني اعتقد انه ـ حين يطلق على الفرد ـ يحتفظ بدلالته على الجماعة . فالآية تصف ابراهيم عليه السلام بانه كان يعادل في دينه وورعه وتقواه الجماعة من الناس ، او انه جمع ايمان الامة وورعها وتقواها في شخصه ، او انه كان كل المؤمنين في وقته القانتين الحنفاء ولم يكن مؤمن غيره .

واضاف ابن الانباري الى ما سبق انواعا اخرى ، لست على يقين اكلها من عنده ام ينقلها عن غيره ، اذ لا دليل يميل بالمرء الى احد هذين الرأيين الا فيما اسنده الى غيره . وهاك هذه الانواع :

17 ـ الافعال المتعدية واللازمة بمعنى واحد . قال (116) : « زال حرف من الاضداد . يقال : قد زال المكروه عن فلان ، وقد زال الله المكروه عنه بمعنى ازال ... وخان حرف من الاضداد . يقال : خان النعيم فلانا ، وخان الدهر النعيم فلانا . فيكون النعيم فاعلا في حال ، ومفعولا في حال ، وخان غير متغير اللفظ .. وطل حرف من الاضداد. يقال : طل فلان دم فلان اذا ابطله ، وطل دم فلان : اذا بطل ، والاختيار طل دمه ..» ولا شك ان ابن درستويه كان يتحدث عن هذا النوع ، حين ذكر ان العرب تحذف احيانا حرف الجر للتخفف عند كثرة الاستعمال . فالاستعمال الاصيل للفعل كان باللزوم ثم حذفت منه اداة التعدية للخفة ..

18 ـ الحروف والادوات ، التى تدل على معان مختلفة مثل قوله (117) : « قال بعض اهل العلم : ان حرف من الاضداد اعني المكسورة الهمزة المسكنة بالنون ،، يقال : ان قام عبد الله ، يراد به: ما قام عبد الله . حكى الكسائي عن العرب : ان احد خيرا من احد الا بالعافية . فمعناه : ما احد . وحكى الكسائي ايضا من العرب : ان قائما ، على معنى ان انا قائما ، فترك الهمز من انا ، وادغمت نون ان في نون انا : فصارتا نونا مشددة كما قال الشاعر :

وترمينني بالطرف اي انت مذنب
وتقلينني لكن ايـاك لا اقلي

اراد : لكن انا اياك ، فترك الهمز وادغم . يقال ان قام عبد الله ، بمعنى : قد قام عبد الله . قال جماعة من العلماء في تفسير قوله جل وعز (فذكر ان نفعت الذكرى) معناه : فذكر قد نفعت الذكرى..» ومن هذا الصنف ايضا علاجه لهل ، وما ، واو ، وقلده فيها الصغاني وابن الدهان ولم يكن اعتبار هذه الحروف من الاضداد من ابتكاره انما هو مقلد فيها ، بدليل عبارة « قال بعض اهل العلم » ويبدو انه يريد بذلك الكسائي في هذه المادة . وحقيقة الامر في هذه الحروف والادوات انها بقايا الفاظ قديمة ، تخلفت لدينا من الاطوار الاولى من اللغة ، وان معظمها يتالف من عناصر اشارية مثل النون . فهذه المعاني المنسوبة اليها ، وصلت الينا من مراحل مختلفة من التطور اللغوي ، ولا يستطاع الحكم بان هذه الانواع من الالفاظ من الاضداد (118) .

وقد عقب عبد الفتاح بدوي على هذا النوع بقوله : « ودعوى التضاد في هذه الطائفة تهافت لان معنى اللفظ لا تضاد فيه لان الاوضاع مختلفة فما النافية ليست ما الموصولة حتى نعقد تضادا او غير تضاد بين المعنيين » .

19 ـ التصغير ، اضافه ابن الانباري في قوله (119) : « من الاضداد ايضا التصغير ، يدخل لمعنى التحقير ، ولمعنى التعظيم . فمن التعظيم قول

---

(115) 169 واورده ابن الدهان 6 ، والصغاني 381.
(116) 175 ـ 177 . واوردها ابن الدهان 12 ، 10 .
(117) 116 .
(118) انظر كتاب التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر .
(119) 191 .

العرب : انا سر يسير هذا الامر ، اي انا اعلم الناس به . ومنه قول الانصاري يوم السقيفة : انا جديلها المحكك وعذيقها المرجب ، اي انا اعلم الناس بها . فالمراد من هذا التصغير التعظيم لا التحقير . والجديل : تصغير الجدل ، وهو الجذع ، واصل الشجرة . والمحكك : الذى يحتك به ، اراد انا يشتفى برايي كما تشتفي الابل اولات الجرب باحتكاكها بالجذع . والعذيق : تصغير العذق ، وهو الكباسة ، والشمراخ = العظيم . والمرجب : الذى يعمد لعظمه . وقال لبيد فى هذا المعنى :

وكل اناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفر منها الانامل

فصفر الداهية معظما لها لا محقرا لشانها ..».

واختلف العلماء فى التصغير ، قال الرضى (120) : « قيل : يجيء التصغير للتعظيم ، فيكون من باب الكناية ، يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية فى العظم ، لان الشيء اذا جاوز حده جانس ضده ... واستدل لمجيء التصغير للاشارة الى معنى التعظيم بقوله :

وكل اناس سوف تدخل بينهم
دويهية تصفر منها الانامل

ورد بان تصغيرها على حسب احتقار الناس لها وتهاونهم بها ، اذ المراد بها الموت : اي يجيئهم ما يحتقرونه مع انه عظيم فى نفسه تصفر منه الانامل . واستدل ايضا بقوله :

فويق جبيل شاهق الراس لم تكن
لتبلغه حتى تكل وتعملا

ورد بتجوز كون المراد دقة الجبل وان كان طويلا ، واذا كان كذا فهو اشد لصعوده » .

نضيف الى ذلك ان تصغير اللفظ المفرد لا يفيد الا الصغر وما احاط به من ظلال وايحاءات كالرحمة والاشفاق والعطف والتدليل وما اليها . اما المعاني الاخرى التى تسبغ على الالفاظ المصغرة فتاتيها من تاليفها مع الفاظ اخرى فى سياق واحد واللفظ لا محالة يتغير معناه بعض الشيء عند التاليف : ضيقا واتساعا ، ليأتلف مع جيرانه ويتجه معها فى اتجاه واحد . ويجب ان تقوم دراسة الاضداد على الالفاظ المفردة ، لا المؤلفة فى عبارات .

20 ــ ما يحتمل معنيين متضادين من العبارات. واعتقد ان الذى دفع ابن الانباري الى الخوض فيه اتصاله بالقرءان . ونستطيع ان نصنفه الى ثلاث فئات ، هي :

أ ــ الآيات القرآنية ، وهي اكثر الفئات ورودا فى الكتاب ، واكبرها حظا من تناول المؤلف ، الذى يطيل فى بعضها ، ويورد اقوال المفسرين المختلفة . ومن اقصر الامثلة على ذلك قوله (121) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله جل اسمه : (وقال رجل مؤمن من ءال فرعون يكتم ايمانه) فيقول بعض المفسرين : الرجل المؤمن هو من ءال فرعون ، اي من امته وحيه ومن يدانيه فى النسب .. ويقول ءاخرون : الرجل المؤمن ليس من ءال فرعون ، انما يكتم ايمانه من ءال فرعون . وتقدير الآية عندهم : وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من ءال فرعون » .

ب ــ الشعر ، وهو ان كان اقل من الآيات عددا الا ان حظه من التناول لا يقل عن حظ الآيات طولا . ومثاله قوله (122) : « ومما يفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس ابن الخطيم :

اتعرف رسما كاطراد المذاهب
لعمرة وحشا غير موقف راكب

ديار التى كادت ونحن على منى
تحل بنا لولا نجاء الركائب

قال ابن السكيت : اراد بقوله : غير موقف راكب، الا ان راكبا وقف ، يعني نفسه . وقال غيره : لم يرد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب الى ان «غيرا» نعت للرسم ، تاويله : اتعرف رسما غير موقف راكب ، اي ليس بموقف للراكب لاندراس الآثار منه وامحاء معالمه فمتى يصر به الراكب من بعد ذعر منه ، فلم يقف به .. » .

---

(120) شرح الشافية 1 : 191 .
(121) 292 . وانظر 167 ــ 8 ، 196 ، 223 ، 234 ، 237 ، 265 ، 270 ، 272 ــ 3 ، 297 ، 299 ، 333 ، 341 ، 353 ــ 57 .
(122) 183 . وانظر 197 ، 219 ، 238 .

ج ـ الاقوال . وهي تعادل الشعر كثرة ، ويتفاوت حظها من طول التناول . واقصر امثلتها قوله (123) : « ومن الاضداد ايضاً : قولهم : اقسمت ان تذهب معنا ، يحتمل معنيين : احدهما اقسمت الا تذهب معنا ، والآخر أن تذهب معنا . وكذلك نشدتك الله أن تذهب معنا ، يحتمل المعنيين جميعا ... » .

ووضع هذه العبارات في الاضداد غريب ، انكره بحق المستشرقون وعبد الفتاح بدوي . فلا يوجد لفظ معين يمكن أن يلصق به معنيان متضادان. وانما يستفاد المعنيان من السياق والقرائن .

21 ـ المقلوب من العبارات، بان ينسب الحدث الى غير فاعله . وامثلته نادرة عنده كقوله (124) : « ويقال تهيبت الطريق وتهيبني الطريق بمعنى ، وهذا من الاضداد .. قال ابو بكر : وهذا عندي مما يقلب لان اللبس يؤمن في مثله ، فيقال : تهيبني الطريق ، لانه معلوم ان الطريق لا تتهيب احدا ..» .

ووجد ابن الانباري مجموعة من الالفاظ تقارب الاضداد ، ولكنها لا تماثلها كل المماثلة ، فميزها عنها بعض التمييز ، وسماها احيانا « اشباه الاضداد » واحيانا « ما يجري مجرى الاضداد » ونجد تحت الاسم الاول الاصناف التالية :

1 ـ الالفاظ ذوات المعاني الحقيقية والمجازية قال (125) : « سمع حرف من الحروف التي تشبه الاضداد يكون بمعنى وقع الكلام في اذنه او قلبه ، ويكون سمع بمعنى اجاب . من ذلك قولهم : سمع الله لمن حمده ، معناه أجاب الله من حمده . ومن هذا قوله عز وجل : (اجيب دعوة الداعي اذا دعان) قال بعض اهل العلم : معناه اسمع دعاء الداعي اذا دعان . وقالوا : يكون سمع بمعنى اجاب ، واجاب بمعنى سمع ، كقولك للرجل : دعوت من لا يجيب ، اي دعوت من لا يسمع ، وانشدنا ابو العباس :

دعوت الله حتى خفت ان لا
يكون الله يسمع ما اقول

اراد يجيب ما اقول . وقال جماعة من المفسرين: معنى الآية أجيب دعوة الداع اذا دعان فيما الخيرة للداعي فيه ، لانه يقصد بالدعاء قصد صلاح شانه ، فاذا سئل ما لا صلاح له فيه فان صرفه عنه اجابة له في الحقيقة » . والحق ان الاجابة معنى مجازي لسمع ، لان السمع اول مرحلة من مراحل اجابة الطلب او الدعاء ، أو هي نتيجة السمع عند الرضى. فلا اجابة بدون سماع . ولما كان الامران بهذا الارتباط صح توسيع معنى السمع والاجابة بحيث تشمل المراحل كلها . فهذا الاستعمال توسع وتجوز لا تضاد . ولا شبهه . ويبدو من عبارة ان الانباري انه ينقل كلام بعض الناس قبله . ونضع في هذا الصنف لفظي كأس وطبخ الذي سبق الكلام عليهما . واعتبرهما ابن الانباري من اشباه الاضداد .

2 ـ الالوان . قال (126) : «ومما يتبه حروف الاضداد الاحمر ، يقال : احمر للاحمر . ويقال رجل احمر اذا كان ابيض . قال ابو عمرو بن العلاء : اكثر ما تقول العرب في الناس اسود واحمر .

قال : وهو اكثر من قولهم اسود وابيض، وانشد ابن السكيت لاوس بن حجر :

واحمر جعدا عليه النسور
وفي ضبنة ثعلب منكسر
وفي صدره مثل جيب الفتا
ة تشهق حينا وحينا تهر

قوله : في ضبنه : معناه وفي ابطه . والثعلب : ما دخل من طرف الرمح في جبة السنان . وقوله : تشهق حينا : شهيق الطعنة ان تدخل الريح فيها فتصوت . وتهر : معناه تقبقب » . وكذا قال عن الاصفر والاخضر والاسود . ولكن هذه الالفاظ جميعا لا تضاد ولا شبهه فيها ، وانما الالوان نفسها لا تكون خالصة ، فبعضها اصفر مائل الى السواد ، وبعضها ابيض يشوبه شيء من حمرة ، وبعضها اخضر يغلب عليه السواد ... وهكذا . ولم تضع العرب الفاظا خاصة لجميع هذه الالوان الفرعية ، اكتفاء بالرئيسية منها ، فاصبح اللفظ الواحد يطلق على الدرجات المختلفة من اللون ، فظن انه من الاضداد. وادخل الصغاني وابن الدهان هذه الالوان كلها في اضدادهما ، كما ادخل قطرب فيها الاصفر .

---

(123) 200 ـ 202 . وانظر 159 ، 160 ، 206.
(124) 56 .
(125) 80 . واورده ابن الدهان 12 ، وعقب عليه بان فيه نظرا .
(126) 231 .

3 ـ عبارات الاستهزاء . قال (127) : « ومما يشبه الاضداد قولهم في الاستهزاء : مرحبا بفلان ، اذا أحبوا قربه ، ومرحبا به اذا لم يريدوا قربه . فمعناه على هذا التأويل : لا مرحبا به . فالمعنى الاول اشهر واعرف من ان يحتاج فيه الى شاهد . والمعنى الثاني شاهده :

مرحبا بالذي اذا جاء الـ
ـخير أو غاب غاب عن كل خير

هذا هجاء وذم ، معناه مرحبا بالذي اذا جاء غاب عن كل خير ، جاء الخير او غاب . وتاويل مرحبا : لا مرحبا به ....

« ومما يشبه الاضداد ايضا قولهم للعاقل : يا عاقل ، وللجاهل اذا استهزؤوا به : يا عاقل ، يريدون يا عاقل عند نفسك ، قال الله عز وجل : (ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ، ذق انك انت العزيز الكريم) معناه عند نفسك ، فاما عندنا فلست عزيزا ولا كريما . وكذلك قوله عز وجل فيما حكاه عن مخاطبة قوم شعيب شعيبا بقولهم : « انك لانت الحليم الرشيد » (ارادوا انت الحليم الرشيد عند نفسك) قال الشاعر :

فقلت لسيدنا يا حليـم
انك لم تاس اسوا رفيقا

اراد يا حليم عند نفسك فانما عندي فانت سفيه » .

وهذه العبارات لا تضاد ولا ما يشبهه فيها ، فالمتكلم حين وصف الجاهل بالعاقل لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . واعني بذلك انه لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . واعني بذلك انه لم يرد ان نتصور انسانا جاهلا بقوله « يا عاقل » ، بل ارادنا أن نتصور انسانا عاقلا ، ونستحضر هذه الصورة امامنا حتى نمتلىء احساسا بها ، ثم ننظر الى هذا الجاهل ونرى مدى انطباق الصورة عليه . ومن المفارقة في الصورتين يأتي الاستهزاء والضحك . ولو كان يريد منا ان نتصور انسانا جاهلا بقوله هذا ، ما جعلنا نضحك ، لان الصورتين ستنطبقان : ولا تبرز المفارقة بينهما ..

اما الصنف الثاني ، او ما يجري مجرى الاضداد عنده ، فهو الاعلام التي يختلف في عروبتها او اعجميتها . قال (128) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله عز وجل : « طه » . قال بعض المفسرين : معناه ، يا رجل ، بالسريانية . وقال غيره : معناه : يا رجل ، بلغة عك ، وزعم ان عكا يقولون للرجل : طه ، وكذلك للرجال والنسوة ، وانشد :

ان السفاه كطه من خليقتكم
لا قدس الله اخلاق الملاعين

وقال الاخفش : طه علامة لانقطاع السورة من السورة التي قبلها . وقال الفراء : طه بمنزلة الم ، ابتدا الله جل وعز بها مكتفيا بها من جميع حروف المعجم ، ليدل العرب على انه انزل القرآن على نبيه باللغة التي يعلمونها والالفاظ التي يعقلونها كي لا تكون لهم على الله حجة . » .

وقال (129) : « ومنها ايضا يعقوب يكون عربيا لان العرب تسمي ذكر الحجل يعقوبا ويجمعونه يعاقيب ، قال سلامة بن جندل :

اودى الشباب حميدا ذو التعاجيب
اودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه
لو كان يدركه ركض اليعاقيب

واجرى نفس القول على اسحاق ، وعلى لفظ من غير الاعلام ، هو مشكاة ، التي قيل انها حبشية، وقيل عربية . ولا شك ان الاساس الذي اقام عليه ابن الانباري القول بتضاد هذه الاعلام او جريانها مجرى الاضداد منهار لا قائمة له ، ولا يحتاج الى تفنيد ..

---

(127) 156 ، 157 . واوردهما ابن الدهان 11 ، 16 .
(128) 314 .
(129) 337 .